جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

# مذكرة ماستر

**تخصص: أدب عربي قديم**

رقم: ق32/ 2023م

**إعداد الطالبة:**

**زريقي مايسة**

# البعد العجائبي في التركيب القصصي في شعر الصعاليك

يوم: 19/06/2023

**لجنة المناقشة:**

| | | | |
|---|---|---|---|
| **فاطمة دخية** | أستاذة | جامعة بسكرة | رئيسا |
| **سليم كرام** | أستاذ | جامعة بسكرة | مشرفا ومقررا |
| **إلياس مستاري** | أستاذ | جامعة بسكرة | مناقشا |

**السنة الجامعي2022 -2023**

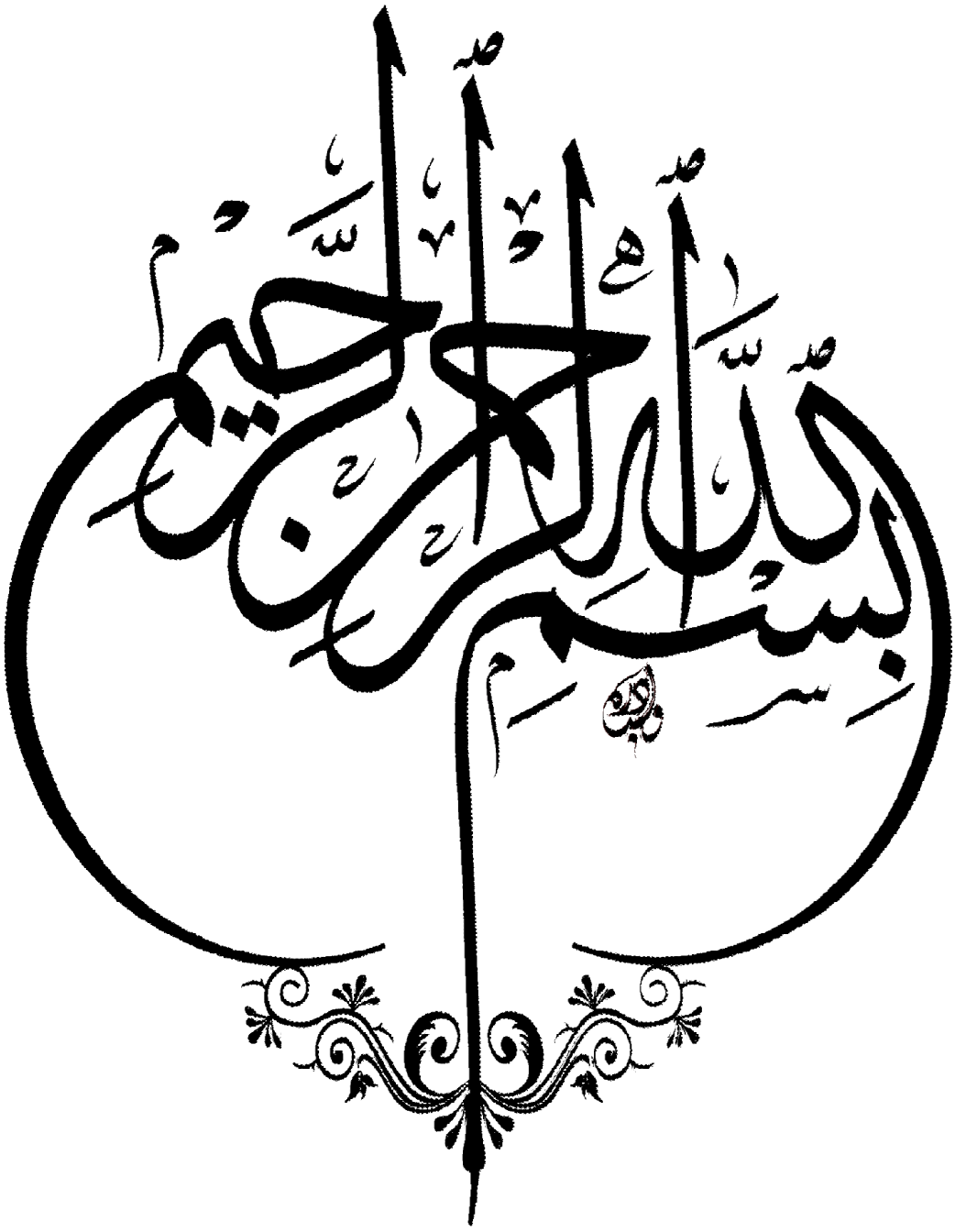
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

ولأن الاعتراف بصنيع الغير، من كمال النفس، وتمام الأخلاق فاتني أتوجه بالشكر الخالص أولا لله جلا وعلا، إذ خصني بنعمة العقل، وجعلني من طلبة العلم ويسر لي سبل تحصليه.

كما أخص أستاذي الفاضل الدكتور سليم كرام، بكل عبارات التقدير والامتنان، إذ أحاطني بالرعاية في مجال البحث العلمي الأكاديمي، وشد أزري فيه بتوجيهاته، وإرشاداته القيمة فغدوت بفضل منهله، قلما يجتهد في طرق العلم، كما أتقدم بالشكر لكل من أخذ بيدي في سبيل العلم الى أبي وأمي، لصبرهم و حبهم لدعمهم و شجيعهم، لأخوتي وكل أصدقائي الى كافة أساتذة اللغة العربية وآدابها على ما قدموه لنا من علم ومعارف وإرشادات أدامهم الله

كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة.

زريقي مايسة.

# مقدمة

من يقف اليوم لدراسة الأدب الجاهلي يقف معجبا وحائرا أمام الكم الهائل من الدراسات التي تناولت مناحي شتى من جوانبه، إذ انكب الدارسون والباحثون يُعملون قرائحهم بالبحث والتدقيق في منتج هذه المرحلة من الأدب، وما سأخصص الحديث عنه في بحثي هذا، هو شعر عبر عن حياة مختلفة لفئة سميت بالصعاليك، اختاروا العيش وسط الرمال مع الوحوش واتخذوا لهم مبادئ لا يحيدون عنها جعلهم من شواذ العرب فاكتسب هذا النوع من الشعر قيما نبيلة وخروجا عن المألوف ونمطا من الكتابة الإبداعية.

ومن هذا المنطلق أردت تسليط الضوء على ظاهرة تبناها الصعاليك في شعرهم ألا وهي العجائبية، هذه الأخيرة من المظاهر التي تتضاد مع المنطق والعقل وتكسر كل ما هو مألوف وطبيعي ،فتثير دهشة المتلقي، وفضوله وقد اتجهت في دراستي إلى اختيار الموضوع الموسوم بـ: "**البعد العجائبي في التركيب القصصي في شعر الصعاليك**"، وكان ذلك من اقتراحات الأستاذ فكان ذلك تسهيلا من طرفه.

واعتبارا لما يكتسبه هذا النوع من أهمية وتنوع وقيم نبيلة، وخروج عن المألوف كان ما حدث لي من استهواء لشعر هذه الطائفة، فأعده من بين الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع لأخوض بتأطير مشرفي غماره، ونتعمق أكثر في دراسته أما عن الأسباب الجوهرية التي جعلتني أختاره هو كوني من محبي الشعر الجاهلي بصفة عامة وشعر الصعاليك بصفة خاصة، ما دفعني إلى دراسته وتفحص مكامن العجائبية فيه.

والسبب الثاني هو أن موضوعي كما أراه لم ينل ما يكفي من الدراسات السابقة رغم كل تلك الوفرة من الأبحاث في مجال شعر الصعاليك، خاصة ممن حاول إخضاعه لسياق ومساءلة المناهج الحديثة والمعاصرة، إلا ما وجد من دراسات ضمت في جوانبها بعض الإشارات إلى هذه القضية.

وكان اعتمادي الأكبر على الدواوين الشعرية للشعراء الصعاليك إذ حاولت أن يكون بحثي متنوعا ومتعددا بتنوع الشعراء وتعددهم.

إذا فالغاية من هذه الدراسة، هي الوقوف على ماهية العجائبية والتعرف عليها من خلال شعر الصعاليك، والخوض في أغوار شعر هذه الفئة والبحث فيه عما يميزه عن غيره ،وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات:

ما مستوى العجائبية في شعر الصعاليك؟

وكيف تتمظهر العجائبية في شعر الصعاليك؟

هل كان الشعراء الصعاليك بمخالفتهم لواقع القبيلة يشعرون بالاختلاف وأن ما عاشوه يمثل هذه العجائبية؟

هل يمكن تطبيق منهج حديث على أدب وفكر قديم؟ وما مدى نجاح التوظيف؟

وهل يمكن أن نعتبر تجربة الصعاليك الشعرية تجربة جديدة بالنسبة للقصيدة الجاهلية؟

وانطلاقا من كل ما سبق كان لابد لي أن أستعين بخطة تلبي حاجة البحث وضروراته وبعد تبلور الفكرة، ارتأيت صياغة الموضوع في صورته النهائية على "البعد العجائبي في التركيب القصصي في شعر الصعاليك"، وقد تطلب مني أن أقسم الموضوع إلى مقدمة وفصلين تليهما خاتمة؛ فكان الفصل الأول نظري وبحثت فيه عن ماهية العجائبية، وعن أبرز مكامنها في شعر الصعاليك، وذلك في مبحثين تناول الأول المفهومين المعجمي والاصطلاحي بينما المبحث الثاني قسمته إلى ثلاثة عناصر الأول عن واقع الشعر العربي القديم والثاني عن شعرية الصعاليك أما الثالث فكان عن جانب العجائبية في شعر الصعاليك في حين اختص الفصل الثاني عن إبراز مظاهر العجائبية في شعر الصعاليك واهم صورهم الشعرية بحيث تطرقت فيه إلى مبحثين الأول عن مظاهر العجائبية والثاني عن الصورة الشعرية لدى الصعاليك وبذلك ينتهي البحث بخاتمة تبرز أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

وارتأيت في هذا البحث أن أنسب المناهج للدراسة أن أعتمد على المنهج التحليلي الذي يتخذ الوصف آليته الإجرائية بما يتناسب وواقع وأهداف دراستي خاصة وأن اهتمامها استظهار مكونات النص الشعري وجمالياته.

وبفضل الله وعونه والأستاذ الفاضل لم أجد في الطريق إلا التسهيلات ولم أصادف الكثير من العقبات، غير أن بحثي هذا كأي بحث آخر، فقد تعرض لبعض الصعوبات منها صعوبة تحديد المصطلح العجائبي، لتداخله مع المصطلحات الأخرى وقلة الدراسات السابقة في الموضوع باستثناء القليل منها.

وفي هذا السياق نورد على سبيل الذكر بعض العناوين التي تناولت أطرافا من موضوع البحث مثلا: "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي للكاتب "يوسف خليف" و"لغة الجسد في أشعار الصعاليك للباحثة غيثاء قادرة" وغيرها من الدراسات التي كانت عونا في تسهيل مشاق البحث، وكان اعتمادنا الأكبر على الدواوين الشعرية للشعراء الصعاليك إذ حاولت اختيار أكثر النصوص ملائمة مع الموضوع.

وبعد هذا السفر الشاق بين القديم في النماذج والحديث في المنهج والآلية، استقر البحث على هذه الصورة النهائية، فأرجو الله أن أكون قد قاربت النجاح والتوفيق فما توفيقي إلا بالله.

ولا أنسى تقديم خالص الشكر والامتنان لكل من زرع وردة في طريق البحث، وعلى رأسهم المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور "سليم كرام"، الذي كان نعم المعين لي في تخطي العقبات ولم يبخل علي سواء بالإرشاد أو معونته العلمية وملاحظاته الصائبة فألف ألف تحية وتقدير له، وخالص العرفان بالجميل للجنة المناقشة على ما تسديه من نصح وتقويم.

# الفصل الأول

## مصطلح العجائبية في مفاهيم المعجم والاصطلاح والدلالة

### المبحث الأول: مصطلح العجائبية بين المفهومين المعجمي والاصطلاحي

المطلب1: التعريف المعجمي للعجائبية:

المطلب2: التعريف الاصطلاحي للعجائبية:

### المبحث الثاني: واقع الشعر العربي القديم بين الواقعية والعجائبية:

### المبحث الثالث: الشعرية عند الصعاليك:

### المبحث الرابع: صور من العجائبية في حياة الصعاليك:

1-سرعة الجري:

2-صداقة الحيوانات:

3- الغزو المنفرد:

## المبحث الأول: العجائبية بين المفهومين المعجمي والاصطلاحي

**تمهيد:**

شكلت الصعلكة في الأدب العربي ظاهرة جذبت اهتمام الباحثين قديما وحديثا، لما تخصصت به من فرادة في التفكير والسلوك، وما ترتب على ذلك من ردة فعل اتسمت غالبا بالسلبية، لأن القبيلة هي المسيطر على الفرد آنذاك، حيث لا يمكن لأحد أن يتنكر لهذا الضابط الذي يسن قوانينه، ويقف على تجسدها والتزامها بالترهيب وحد السيف.

والبحث ينطلق أساسا من أهمية هذه الظاهرة، محاولا استجلاء صورة الإنسان الصعلوك من خلال شعر هذه الزمرة وتعاطيها الحياة زمن الجاهلية، واستشعار حال العجائبية التي ميزت حياة وتفكير وظهرت في تعبير شعراء الصعاليك، وخصوصا عند أهم شعرائها أمثال عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شر والسليك بن السلكة، الذين رسموا ملامح الغرابة حول شخصية الصعلوك، من خلال أشعارهم ونظمهم لقواف، سيكون لنا حصة من دراسة نظرية العجائبية في بعض منها لكي يتسنى للباحث أن يرسم في مخيلته صورة عن العجائبية.

### المطلب 1: التعريف المعجمي للعجائبية:

لقد كان الفكر العربي القديم حلة أصيلة لثقافات خالدة، حاكت من حضارتها ثوب الطبع والصنعة بالفطرة التي هي من طبيعة الإنسان فكان نظمه للكلام من غير دراية لمعالم الوزن والقافية، شعر منظوم يوقع في النفس من الوهلة الأولى، جزالة ألفاظه واستقامة معانيه، ولكن هذا يعد غير كاف لبعض الشعراء الذين تمردوا عن هذه الديباجة حيث أرادوا أن يخترقوا العادة ويخلقوا منها ما يبهر النفس، فأبدعوا وخرجوا عن صورة المألوف وانتحلوا من الخيال بكل حيثياته، وأخرجوا ما يطلق عليه بالعجيب أو العجائبية

ويندرج معناه على عدة مصطلحات نذكر أشهرها الفانتازيا، الغرائبية، الأدب الإستيهامي، السحري، الفانتا ستيك.

فالعجائبية رغم حداثة عهدنا بها إلا أننا نجد لها صورا في الشعر العربي القديم ولاسيما في شعر الصعاليك فهي ظاهرة سردية تتجاوز الواقع والمنطق إلى اللاواقع واللاعقل والتضاد مع المألوف متيحا الفرصة لباب التجريب عن طريق رفع الستار وتحطيم كل البديهيات والمعتقدات المكرسة لعقود من الزمن

وقد تباينت وجهات النظر سواء أمام أشكال من التسميات المتسعة أو المفاهيم المتعددة المتعلقة حول الظاهرة وسنحاول أن نضبط مفهوما للعجائبية فيما يأتي:

قبل أن نسترسل في تتبع دلالة الجذر (ع، ج، ب) في المعاجم العربية القديمة لا بأس أن نعرج على دلالته في القرآن الكريم كون أن باقي الدلالات تسربت إلى المعاجم انطلاقا منه وقد وردت في عدة مواضع بمختلف الأوزان والصيغ منها:

**قال تعالى:** ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (*).

الدنيا ما هي إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر ... أي محقرات الأمور وأما الآخرة فهي عذاب ونار جهنم ومغفرة من الله أي أمور عظام فشبه حال الدنيا وسرعة انقضائها بنبات أنبته الغيث فأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله عز وجل فصفر وصار حطاما عقوبة لهم وجزاء على جحودهم

ونجدها في سورة أخرى قال تعالى: ﴿**كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ**﴾(**).

(*)سورة الحديد، الآية 20.

(**)سورة يونس، الآية 02.

وقد جاء تفسير هذه الآية عند ابن كثير: «عن ابن عباس رضي الله عنهما محمد صلى الله عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك، أي أنهم أنكروا أن يكون الرسول من البشر، فأنزل الله عز وجل:﴿أكان للناس عجبا﴾»[1].

فمن قوله عز وجل وتفسير ابن كثير، أن العجيب يحمل معنى الإنكار من خلال دهشة الكفار من أن يكون الرسول بشرا عادي فقد أنكروا ذلك وتعجبوا منه فهوا أمر يفوق قدرة البشر، وأيضا في سورة الصافات قال تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾، والآية تحمل في طياتها معنى الدهشة التي تختلج صدر الإنسان بمجرد تلقيه لأمر غير اعتيادي فيضحكون استهزاء بهذا الأمر.

ومن خلال ذلك نستشف أن لفظة العجيب وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم بأوجه عدة منها: الدهشة والانبهار أو الإنكار أو الحيرة.

أما في المعاجم العربية القديمة فقد تنوعت دلالات العجيب سنكتفي بما يخدم بحثنا نذكر منها ما ورد في لسان العرب بالمعنى الآتي: فكلمة" العجائبية" مصدر صناعي، والياء المشددة فيها هي ياء النسب، والتاء تاء التأنيث أو تاء النقل، ومنه فقد صيغ مصطلح العجائبية من كلمة "عجائب"، «وهي جمع مفردة عجيب، وتعني إنكار ما يريد لقلة اعتياده»[2]، والعجب في هذا الموضع يعكس غموضا والذي هو نقيض المألوف الناتج عن التعود تخلق حالا من الالتباس القائم على الحيرة والتردد، المولدين للدهشة فهو شعور يحس به المرء، عند رؤيته لشيء لم يسبق له أن رآه كما أنها تدل أيضا على الاستنكار أو الاستحسان استحسنت أي أعجبت به بشدة.

[1]- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن الحقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعلق ودراسة:عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض وآخرون، مكتبة العبيكات، ص 50، 49.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مادة عجب)، ط1، الجزء4، ص543-560.

كما وردت الكلمة أيضا في معجم العين كالآتي: «العجب هو النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد»[1]، وبهذا فالعجب ببساطة مدلوله أن ينظر المرء إلى شيء غير مألوف أي غير اعتيادي وهذا ما يؤدي به إلى حالة من الدهشة واللبس نظرا لقلة الاعتياد على الشيء، فالمواقف العديدة التي يصادفها الإنسان في حياته اليومية مثار استغراب ودهشة لكونها مخالفة لمجرى حياته المألوفة.

أما في تاج العروس فنجد أن التعجب هو «حيرة تعرض للإنسان عند سبب جهل الشيء والذي هو سبب له في ذاته بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن لا يعرفه، ولهذا قال قوم: كل شيء عجب وقال قوم: لا شيء عجب»[2].

فالإنسان عندما يرى شيئا لم يألفه يحار في أمره، ويندهش له لعجزه عن معرفة سبب كونه على تلك الصفة الغير معتادة، وبطبيعته أنه يحاول أن يفسرها ليفهمها ويستوعبها دون أن ننسى الفهم الخاص والإحساس والتصورات الذاتية فما يكون عجبا عند البعض قد لا يكون عجبا عند غيرهم، ولذلك ما هو عجب عند قوم قد لا يكون عند آخر وهذا ما خصه ابن سيدا في قوله: «العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره»[3]، وهو لا يكون إلا في النادر الوقوع ويسقط للإنس وكثرة المشاهدة.

وجاء في قاموس المحيط للبستاني: «العجب إنكار ما يرد عليك واستطراحه وروعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء، والتعجب: انفعال عما خفي سببه»[4]، وتأويلا لذلك

[1]–الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: معدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات، بيروت، ط1، 1988، الجزء 1، ص295.

[2]_محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، ص207.

[3]–زكريا محمد القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الشرق العربي، دت، ص 10

[4]–بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د ط، ص576

فإن العجب هو ذلك الشعور النفسي الذي يحمل معنيين اثنين هما الاستعظام والاستنكار وهما متعلقتان برد فعل الإنسان إثر دهشة أو حيرة.

ومن خلال التعاريف التي سبق ذكرها تتوصل الى أن لفظ العجيب يندرج معناه ضمن الحقل المعجمي الذي يحمل دلالة الانبهار والاستغراب والدهشة والحيرة كما أنه يرتبط تمام الارتباط بالانفعالات النفسية التي تعتري الإنسان عندما يواجه حدثا فوق الطبيعي، اذ يدل العجب على نقيض المألوف، واعتمادا على ما سبق ذكره نجد أن لفظ العجائبية يتسم بزخم وبثراء معجمي ونستنتج من خلال ذلك أن للفظ العجيب حضورا قويا يسيطر على الأذهان والألسنة.

**المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للعجائبية:**

أما عن السعي لمحاولة ضبط تعريف للعجائبية فنجد أنه يتعدد ويختلف نظرا للاستعمال الواسع له مما أفضى إلى تعدد معانيه، فصار يدل على معان متفاوتة تبعا لطريقة فهم كل دارس له، إلا أن جميع المفاهيم تنهل من معين واحد وهو الخيال المحض كما أنها تتميز بطابع غريب يولد الدهشة وإثارة الرعب في نفسية المتلقي.

وإذا ما قلنا العجائبية فلابد لنا أن نشير إلى (todorov tzvetan) أولا فهو يعد من أشهر النقاد والمنظرين في الحقل العجائبي وصاحب كتاب مدخل إلى الأدب العجائبي، حيث عرفها في قوله هي: «التردد الذي يحسه كائن لا يعرف القوانين الطبيعة فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر»[1].

فالعجائبية حسبه هي تردد بين جنسين أدبيين الجنس الأول الغريب، والجنس الأدبي الثاني هو العجيب والعجائبي، يقع في منطقة وسطى بينهما، فعلى سبيل المثال العجيب

[1] تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بوعلام، تقديم: محمد برادة،دار الكلام،الرباط، ط 1، 1993، ص18

هو أن يقتحم وعينا أمر خارق للواقع أو أمر غير مألوف، ونحتار في تأليفه ثم لا نجد له أي تفسير حقيقي، وننهمك في التفسيرات الميتافيزيقية، هذا ما يسمى العجيب أما الغريب فهو أن يقتحم ذهننا أيضا أو وعينا أمر خارق وغير مألوف بعد الحيرة والتأني والتفكير نجد له حلا معقولا، يعني في البداية يكون هناك غموض ثم يتجلى الغموض أما العجائبي فهو حالة التردد بين العجيب والغريب[1] ومعا ظهور كتابه مدخل إلى الأدب العجائبي انطوى تحت مضلته العديد من الدارسين، متأثرين بما جاء فيه وأمثال هؤلاء نجد:

الباحث السوري" لؤي علي خليل" يرى أن العجائبي في معناه العام هو «تردد كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما هو يواجه حدثا فوق الطبيعي حسب الظاهر(...) ويعزز العجائبي التردد باشتراط تجاوز الحدث الخارق مع الأحداث الطبيعية»[2]، ومن خلال ذلك نرى أن لؤي علي خليل يحاكي بدوره وبدقة شديدة ما جاء في نظرية تودروف فيرى أن العجائبية هي حدث فوق الطبيعي تتجاوز قوانين العقل البشري فهو أدب يخترق كل ما هو واقعي أو معقول بعيدا عن قيود الواقع.

وأيضا مفهوم سعيد يقطين للعجائبية حيث يقول: «يتحقق على قاعدة الحيرة والتردد المشترك بين الفاعل (الشخصية) والقارئ خيال ما يتلقيانه».[3]

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن سعيد يقطين عرف العجائبية على أنها تقوم على الترابط بين الشخصية والقارئ وهذا الترابط نتيجة الحيرة لأن الشخصية هي التي تولد هذه الحيرة في نفسية القارئ.

---

[1] ينظر: تدوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، مكتبة الأدب المغربي، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993، ص21.

[2] لؤي خليل، عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب، التكوين للتأليف والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا،2007، ص 09.

[3] سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط ، ط 1، 2012، ص 233.

وبذلك وصل بنا القزويني إلى نتيجة جوهرية في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات في شرح العَجب يقول: «أن العجب حيرة تعرض الإنسان لقصوره عن معرفة كيفية تأثيره فيه»[1]. فالعجب هنا هو الفعل الذي يترك الأثر أي الدهشة التي تعتري نفسية أي شخص عادي عندما يواجه أي شيء غير مألوف أو لم يعتد على مواجهته.

وأما كمال أبو ديب ففضل تسميته بالأدب العجائبي أو الأدب الخوارقي[2] وفي كتابه العجائب والغرائب يعرفه بقوله بأنه:«يجمع الخيال الخلاق مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي»[3]، فالعجائبية وفق منظوره هي فن اللامحدود واللامألوف فن الخيال المتجاوز والطليق وابتكار المتخيل، بؤرة للخيال فن يخترق الحدود والمألوف والمعقول مخضعا كل ما في الطبيعة والوجود إلى قوة واحدة فقط هي قوة الخيال المطلق الذي لا حدود له ولا قوانين.

وكذلك العجائبي عند حسين علام يتحدد بحسب موقف الإنسان، حيث يقوم على الدهشة والانبهار أو الهول أو الحيرة، أو الخوف أو العجب والفزع، ومنه ربط العجيب بالمعجزة، والسحر والبدع واعتبر البرهان عجيبا، وهذا العجب ما يأخذ منه الإنسان عند استعظام شيء فهنا نجد أن اللاواقعية تأتي من كون الأحداث البشرية المثيرة للجدل، وبالتالي مفارقة الألفة؛ بمعنى أن حسين علام قام بمقاربة بين العجائبية واللاواقعية، فيرى أن العجائبية ترتكز على الدهشة والحيرة والخوف والفزع...في حين أن اللاواقعية تأتي من الأشياء المثيرة للجدل أو بمعنى آخر فاللاواقعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعجائبية.

---

[1] زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص10.

[2] ينظر: كمال أبو ديب، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 09.

[3] المرجع نفسه ص 15.

هناك أيضا (cailloics roger) في مقالته عن العجائبي وذكر بأنه اقتحام الممنوع الذي لا يمكن أن بحدث لكنه رغم ذلك يحدث وركز على فكرة الإرعاب (الخوف) الذي يبثه فينا العجائبي، وعرفه أيضا في كتابه قلب العجائبي بقوله: «إنما العجائبي كله قطيعة أو تصدع لنظام المعترف به، واقتحام من إلا مقبول لصميم الشعرية اليومية التي لا تتبدل»[1]، في حين أن العجائبي حسب (castex): «هو تدخل عنيف للسر الخفي في إطار الحياة الواقعية»[2].

فهذان التعريفان يتفقان في فكرة اختراق الظواهر السرية الغامضة للحياة الواقعية العادية، فالعجائبي يقتحم كل ما هو مألوف ويحوله إلى أحداث غير معقولة وغير مألوفة، ويصعب تقبلها من أي شخص عادي، فتسبب بذلك شعورا بالحيرة والدهشة والرعب، من هذا المنطلق يمكننا القول بأن للعجائبي خصائص عديدة يقوم عليها؛ فهو يوظف خاصيات التعجيب تصريحا وتلميحا، وينسج خيوطه الجمالية حول الخرق الخيالي والمنطقي والطبيعي، كم يستمد هذا الأدب ألفاظه من معجم العجيب تارة ومن معجم الغرابة أخرى، ناهيك عن انزياحه عن قاموس الطبيعة والألفة والأفعال اليومية العادية، ويعتمد لغة تتخطى الواقع إلى الخيال، فيندهش أمامها العقل والمنطق، فتدفعه إلى التفكير والحيرة، وهذه الخاصية هي التي تجعل الأدب العجائبي يتفرد كليا عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى.

[1] حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 29.

[2] المرجع نفسه، ص 29 .

## المبحث الثاني: واقع الشعر العربي القديم بين الواقعية والعجائبية:

يعتبر الشعر الفن الأدبي الأكثر انتشارا وأهمية في العصر الجاهلي كونه مرآة عاكسة لأوضاع المجتمع، فيعبر الشاعر بكل حرية وينقل الأحداث الواقعية ويستوحي صوره وأفكاره من بيئتها الطبيعية، ويرسم لنا بشعره صورة واضحة لهذه البيئة، معبرة عنها أصدق التعبير فكان الشعر الجاهلي خير مثال على ذلك باعتباره شعرا أنتج على السليقة، أن الشاعر الجاهلي لم يعرف الغلو ولا المبالغة حيث ينطق شعرا بالفطرة كما أن الشعر كان يجسد ذلك الواقع الذي يعيش فيه الشاعر ويحيط بمختلف عاداته وتقاليده وظواهره وآلامه وآماله فهو ينقل تلك الصورة بشكل دقيق خالية من أي تصنع أو تكلف، فيسجل كل ما تقع عليه عينه من وقائع الحياة «فالشعر في العصر الجاهلي هو إنتاج وجداني مطبوع، فقد استوحى الشاعر أبيات قصيدته من البيئة التي يعيش فيها»[1].

إن المجتمع الجاهلي مجتمع بدوي فالبادية هي بيئة هذا الشعر بما تحويه من مشاهد البداوة فقد كانوا يعيشون حياة غير مستقرة يسيطر عليها الجوع والخوف وانعدام الأمن والأمان، ينتظرون مواسم المطر، ومنابت الكلأ، فيخرجون إليها بإبلهم وأغنامهم يرعونها فيعتمدون عليها في حياتهم فيشربون ألبانها ويأكلون لحومها وهي وسيلتهم في الحل والترحال «لم يغادر الشعر جانبا من جوانب الحياة البدوية إلا تحدث عنه وسجله وصوره»[2].

لذلك ليس بمستغرب أن يصف الشاعر العربي فرسه أو ناقته فنجد شعره فيه من ظل وناقة وفرس وصيد ووصف لرحلاته وما يركبه، فكان الشاعر ينظم في شعره كل ما يتعلق برحلاته فقد كان يتميز شعره بالصدق، حتى أنه مرآة عاكسة لواقع الشاعر كما هو دون أي تكلف، «فالشعر وثيقة يعبر بها الشاعر عن حياته وبيئته بكل ما فيها ويجمع

[1] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط 1، 2006، ص 16

[2] يحيي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1986، ص 189.

ألوانها فهو يتحدث بما يشعر هو»[1]، لذا يمكن اعتبار الشعر الجاهلي بمثابة وثيقة تاريخية يمكن الاعتماد عليها لمعرفة حياة الشاعر وبيئته بكل مناحيها.

فمن خلال هذا الشعر استطعنا أن نعرف ما مر بتلك الحقبة التاريخية البعيدة من أخبار وأيام وحروب، ولهذا فإن المعاني التي جاء بها هذا الشعر هي معاني صادقة وواضحة تنقل الواقع كما هو بعيدة عن الخيال والتصنع، فهو عبارة عن صور فوتوغرافية عن تلك الحياة وهذا ما نجده في «وصفه للمعارك الدائرة بينهم إذ نراه يعترف بهزيمة قومه إن هزموا، وبفراره إن ولى الأدبار ونكس على أعقابه، وفي أثناء ذلك لا يبخل على أعدائه بوصف شجاعتهم وبلائهم في الحروب»[2].

بالإضافة إلى ذلك نرى أن الشعر الجاهلي هو صورة نفسية للشاعر، فهذا الأخير يعبر عن أحاسيسه وأهوائه، وما يجول في نفسه ويتغنى بعواطفه ووجدانه مهما كان الغرض من أبياته، حكمة أو مدح أو غيرها من الأغراض، فالشاعر جبل على أن يصف نفسه وحالته وكل ما يختلج قلبه وشعوره فقيل «فالشاعر مطبوع في شعره على النزعة الوجدانية يصف نفسه وشعوره، حتى عندما يمدح أو يرثي أو يقول الحكمة لأن بساطته وطبعه مطبوع على الصراحة فلا يتلعثم ولا يتطرف»[3].

والقصيدة القديمة عبارة عن نظم فطري تطغى عليه البساطة والفصاحة والصراحة وذلك لأن الشاعر يرغب في نقل أحاسيسه ووصفه للأشياء نقلا واقعيا مما جعلنا نقر أن الشعر مرآة عاكسة للحياة في ذلك العصر مما فيها من بداوة، والمعروف«أن الحياة البدوية حياة فطرية تسودها البساطة، فلا تكلف ولا تجريح ولا تعليل والشاعر في العصر الجاهلي لا يعزره ذلك ولا يحتاج إلى التكلف وهذا ما نراه عند كثير من شعراء هذا

[1] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، ص16.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ط 11، ص 220.

[3] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، ص 160.

العصر»[1]، فالشاعر الجاهلي في بساطته وصراحته يعلن حتى عن اسم محبوبته، من مثل قول طرفة بن العبد:

**لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ**[2]

كما للشعر الجاهلي سمة تمثلت في كثرة التشبيهات والاستعارات والمجاز والخيال وكل هذه مستوحاة من واقع الشاعر المادي، فقد استعار جمال صوره الشعرية من جمال الطبيعة «تشبيهاته للمرأة فهو يشبهها بالشمس ولبدر والبيضة والدرة والدمية (...) فالشاعر يقتفي في أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله»[3]، ولهذا قيل أن الشاعر ابن بيئته يتأثر بها فينقل ذلك من خلال أشعاره ويظهر ذلك في وصفه للمرأة بجمال الطبيعة، فكلما اتسعت الصحراء ومظاهرها أتسع معها خيال الشاعر، «وقد اتسع خيال الشاعر في العصر الجاهلي في اتساع أفق الصحراء التي كان يعيش فيها»[4]، فالصحراء تعد من أسباب شاعرية العرب فجوها يوحي بالشعر ويلهم ويذكي العاطفة، فنجده أيضا يصف الطبيعة بما فيها من حيوان وجماد ومظاهر أخرى من رياح وسحاب وأمطار فقد ضمن شعره جميع ظواهر الحياة، فقد قدمت القصيدة الجاهلية خير وصف للبيئة فوصف ديار الحبيبة وآثار الديار ورحلة الصحراء والحيوان والمرأة والطريق والليل وغير ذلك من دقائق كما أنهم افتخروا بشرب الخمر والنديم فيذكرون ذلك في قصائدهم فيصفون آنية الخمر والحانة والجارية التي سقتهم إياه... وما أجمل وصف طرفة لناقته في معلقته:

---

[1] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، ص 17 .

[2] طرفة بن العبد، الديوان، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2002، ص19.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 220_221

[4] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، ص 17

**جُنوحٌ دِفاقٌ عَنَدَلٌ ثُمَّ أُفرِعَت لَها كَتِفاها في مُعالىً مُصَعَّدِ**

**كَأَنَّ عُلوبَ النِسعِ في دَأَياتِها مَوارِدُ مِن خَلقاءَ في ظَهرِ قَردَدِ**[1]

وعلى ضوء ما سبق عن الحياة الجاهلية نستشف أن الشعراء الجاهليين اهتموا بنقل الواقع كما هو دون المساس به أو تغييره وإنما وصفه وصفا دقيقا صادقا ثم إن الصحراء بصراحتها ووضوحها، وبعدها عن الزخرف جعلت الشاعر صريحا واضحا، لا يعرف التكلف ولا الرياء فشعره هو وليد لهذه الحياة ومرآة لها، حتى أنه يمكننا تعريف القصيدة الجاهلية بأنها التعبير الشعري عن رؤى ومواقف جاهلية باستخدام أدوات تركيبية وبلاغية وإيقاعية ذات صبغة جاهلية.

## المبحث الثالث: الشعرية عند الصعاليك:

إن طبيعة المجتمع الجاهلي القائمة على الطبقية والتمييز بين أفراده وطغيانهم على عبيدها وإيمائها، وهضم حقوقهم، ذلك المجتمع القائم على نصرة القوي وعدم الالتفات الى حاجة الضعيف، مجتمع سياسته الأولى والأخيرة هي العصبية القبلية، سياسة تعتمد على ذوبان الفرد في الجماعة، والهرع لنصرة القبيلة، والدفاع عنها وعن سادتها، أما الفئة الفقيرة المهمشة فيها فلا حظ لها من هذه الامتيازات، بل تسعى لتحصين نفسها بنفسها، وهذه بعض الأسباب التي دفعت جزء من هذه الجماعة المحرومة إلى الانتفاض وتفضيل الكرامة على المهانة، وعزة النفس على الذل والرحيل على البقاء، والتخلص من عبوديتها، «لذلك قام هؤلاء الصعاليك بنبذ قبائلهم كما نبذتهم، وفضلوا حياة التشرد والتصعلك على الخضوع لقانونها الجائر، والتلال الوعرة على ربوع القبيلة، وحياة الوحدة المتألقة على حياة

[1] طرفة بن العبد، الديوان، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ص 22

الجماعة القاتمة»[1]، فهم جماعة اتخذت من الصعلكة طريقا لها، شكلوا لهم مجتمعا في مجاهل الأرض، ينأى بهم عن قبائلهم التي نبذتهم وخلعتهم ولا تقيم وزنا لمؤهلاتهم.

لذلك فقد آثروا الثورة والتمرد على الجبن والاستكانة، من اجل الحفاظ على حريتهم، والتخلص من عبوديتهم، جماعة عرفت بالصعاليك، قطاع طرق ولصوص شقوا الطريق إلى غياهب الصحراء واتخذوها مسكنا لهم، قوم اتخذوا من السلب والغزو سياسة للبقاء وتأكيد الذات، فالصعاليك تمردوا على أعراف قبائلهم وخرجوا عن قوانينهم، وأبو أن يخضعوا لقواعدهم التعسفية الظالمة مما جعلهم «يكونون مذهبا خاصا بهم قوامه الثورة على نظم الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي»[2]، وهذا ما دفعنا للبحث والتأكد من إمكانية تأثير هذا التمرد على أدبهم وان رافقهم في ذلك خروجا فنيا في قصائدهم أم لا محاولين أن نبين خصوصية هذا الشعر.

إن التجديد في الشعر العربي القديم حملة تمرد وثورة على النظام المتوازن وهذا التجديد لم يظهر دفعة واحدة وإنما كانت هناك تغيرات بطيئة عرفتها القصيدة العربية عبر الزمن، فالشعر العربي عرف بأنه يصطبغ بخصائص كل عصر، كل عصر يضفي لمسة خاصة تميزه عما قبله وما بعده "فالشاعر ابن بيئته" يتأثر بكل التغيرات والتحولات التي تحدث في واقعه ومحيطه، وكل هذا ينعكس على الشعر باعتباره مرآة عاكسة، لكل هذه الأحداث والتجديد في الشعر العربي لا ينفي وجوده أيضا في الشعر الجاهلي، وان لم يكن بالصورة الواضحة البنية فقد كانت محاولات للخروج والتمرد عن النمط القبلي السائد آنذاك، فنجد أن الصعاليك هم من بين الفئات التي خرجت عن هذا النظام وتمردت عليه.

فقد انبثق عن صعلكة الشعراء وكسر طوق الانتماء وقطع أواشج القربى بينهم وبين قبائلهم التمرد على نظام القصيدة الجاهلية الأم، وخلق أشعارا تصف تمردهم عن الواقع

[1] الشنفرى، ديوان، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 11

[2] عبد الرحمان عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008، ص 255.

وخروجهم عن المألوف، بإبداعاتهم المميزة التي مثلت حياتهم التي بلا شك تعد مختلفة عن بقية شعراء العرب، وصورت مظاهر شاعريتهم فاعتمدوا مذهبا مستقلا بذاته عن مذهب الشعراء القدامى، من ناجية البناء الشكلي والبناء الفني الموضوعي وهو ما استدعى صورا جديدة وتجربة تعبيرية مستوحاة من أحداث الواقع التي حاكت الصعلكة والتمرد، وهذا ما جعلهم يتسمون بشعريتهم الخاصة «حتى ليصح القول أن نطلق عليهم أصحاب المذهب الشاذ في الشعر الجاهلي»[1]، فرغم أنهم محتقرون من طرف ذويهم إلا أنهم استطاعوا بفضل المسار الذي خطوه لأنفسهم أن يضفوا إلى تسميتهم السلبية، الصعاليك، أبعادا جديدة ويرتقوا بها، حيث صارت اسم علم يدل على حركة نعمت باهتمام الباحثين المعاصرين اهتماما يفوق اللااهتمام الذي عومل به هؤلاء الصعاليك إبان حياتهم.

فخصهم العديد من الناقدين بالدراسة والخوض في غمارها يرون في ذلك شعرية مخالفة نتيجة عن التمرد عن أعراف القبيلة، وتكمن شاعريتهم في إثباتهم لأنفسهم فهم لا يريدون لا مكانة ولا شهرة وإنما يسعون لإيصال صوتهم وتحقيق إنسانيتهم في المجتمع الذي نبذهم واحتقرهم من خلال فرض أنفسهم بالقوة عليه، فهم فئة من المجتمع استهانوا بالحياة في سبيل الوصول إلى الغاية التي يسعون إليها ويؤمنون بفكرة الفناء في سبيل المبدأ وقد كانت الموضوعات الشعرية المجال الذي يتيح للشاعر التنفيس عن معاناته.

وقد جاءت قصيدة الصعاليك بمثابة شعر الاختلاف للشعر الجاهلي خاصة النمط الجاهلي القبلي بصفة عامة فجاءت معارضة لمواضيع القصيدة الجاهلية فحاولت إنتاج ما يتلاءم مع حياة الصعلوك المتمردة فكان أكثر شعرهم عبارة عن مقطوعات عبر فيها عن كل مآثره ولعل مرد هذا إلى أنهم ذوو خفة وسرعة واختلاس لم يألفوا التمهل والتروي والتنميق، فجاء شعرهم صورة عن حياتهم القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش اذ لم

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص279

تسمح لهم بقول مطولات القصائد «فأخبار فرارهم وعدوهم»[1]، والاعتصام بالجبال، والغارة الفردية على القبيلة في جوف الليل وقطع الطريق والممرات وتسريح السبايا والعبيد والتضامن مع الضعيف، وسرد كل أشكال الصراع مع القبيلة، وإبراز القدرة على احتواء الصحراء والسيطرة على وحوشها، هي إذن مواضيع بدون شك تثير الرعب والخوف والإحساس بالهزيمة في نظر نفسية المتلقي المفترض، وتعلن بذلك على ميلاد جبهة معارضة لها مبادئها وأفكارها اجتماعيا وفنيا، يقول جابر عصفور: «ما زلت مقتنعا بما علمني إياه يوسف خليف من أن التمرد المتفجر في شعر الصعاليك يؤكد حضور الأنا إزاء الآخرين ويضع الصعلوك في مواجهة القبيلة بالمعنى الاجتماعي، وقصيدته في مواجهة شعر القبيلة بالمعنى الفني»[2].

والملفت للانتباه في الصعاليك وأسلوب حياتهم أنهم جمعوا بين السيف والقلم، كما جمعوا أيضا بين التشرد في القفار والفيافي، وعبروا عن ذلك التشرد الذي سكن أرواحهم وتلك الثورة التي نمت في عقولهم بأفكار أثبتوا من خلالها وجودهم، فحضت أشعارهم باهتمام بالغ من طرف الشارحين والمحققين وخير مثال على ذلك لامية الشنفرى، فلامية برأينا قصيدة من درر القصائد العربية بالنسبة إلى صدق العاطفة، ودقة التصوير وروعة الوصف وإيجاز العبارة، فهي أصدق قطعة شعرية من أغاني الصحراء، لا بل هي نشيد الصحراء أنشده شاعر اتصف بالشجاعة، وقوة الإرادة، والاعتزاز بالنفس، وبالثقة التي ترافق الرجولة وبحب الحرية وإن أدت إلى الجوع والمخاطر والأهوال.

فتعتبر من أشهر قصائده بل وشهرتها الأدبية بلغت الآفاق، حتى أنهم أسموها لامية العرب أو كما يسميها البعض أنشودة الصحراء نضرا لما فيها من صور متقنة لحياة الأعراب في الجزيرة فقد ترعرع ذلك الشعر في كنف الصحراء، فهي بمثابة ملخص عام لحياة الصعلوك ومغامراته حتى ليصح أن نطلق عليها "لامية الصعاليك" أو "دنيا

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 279

[2] جابر عصفور، "حكمة التمرد"، مجلة العربي، عدد444، الكويت،1995، ص76

الصعاليك" فبدأت قصة الشنفري حين أعلن الرحيل عن قبيلته لأن نفسه أبية لا ترضى الذل والاحتقار فقد اختار العيش مع الوحوش في الصحاري على أن يبقى في قبيلته الظالمة وفي ذلك يقول:

**أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمْيَل**[1]

وهو على استعداد لرفض الحياة كلها إن ارتبطت بالذل الذي عافته نفسه فالفارس الصعلوك راغب عن الدنيا وإن كان من عشاق الحياة «لكنه يعف عن عيشة مع الضعة وعن غذاء مع الذل وعن عمر بلا مغامرات (...) فكان يحمل شعارا: أن يعيش الإنسان عرضا وعمقا وألا يعيش طولا واستمرارا رتيبا عميقا»[2]، فتكمن شاعريته المميزة في وصفه لقلبه الشجاع وسيفه وقوسه المتين وصبره على المصاعب التي تعرض لها خلال مغامراته، وعلى الجوع والفقر ووصف سرعت عدوه والافتخار بها، لا نرى منه وقوفا على الأطلال، وبكاء للديار، وتشبيبا بالمحبوبة الظاعنة، وليس في شعره غزل «بينما يلتزم الشعر العربي القديم بهذا الطابع، نجد شعر الصعاليك مثلا يندر أن نجد فيه بدء القصائد بالغزل كطابع تقليدي»[3]، وكيف يتغزل من يقضي نهاره يترقب، وليله يترصد ولا يستقر في مقام.

على عكس الشعراء الملتزمين بالقاعدة الفنية القديمة وهذا ما لم يول اهتمام الصعاليك فنسجوا على إثرها خيوطا حريرية حاكت بها نمذجة للصعلكة فنعكس ذلك من خلال شعرهم باعتبار أن الشعر مرآة عاكسة تعكس الواقع، أينما مالت به الحياة مال شعره أيضا، فشعرهم لوحة تفننوا فيها فصورا الطبيعة والصحراء الموحشة والمراقب العالية فنشأ في أحضان التمرد والفقر الشديد «ولا شك أن بنية الرحلة تنطوي على فخر بالذات على القدرة على تجاوز الصعاب، هو ما تحتاجه قصيدة الصعلوك الذي لا ينتمي لقبيلته وإنما

[1] الشنفرى، الديوان ، إعداد وتقديم: طلال حرب، ص 55

[2] المصدر نفسه، ص 14

[3] عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 1979، ص322

لنفسه»[1]، وهذا فشعره يصف حياته وحياة الصعلكة فقط وغاراته الفردية والجماعية فهي جزء من أشكال الصراع ضد القبيلة اعتمدها الصعلوك لدلالة على وجوده فشعره يعبر عن الذات قبل أن يكون تعبيرا عن القبيلة وإذا كان الشاعر الجاهل يتحدث عن القبيلة ويدافع عن مصالحها فإن الشنفرى ومعه بقية الصعاليك يتحدثون عن أنفسهم بعيدا عن الفخر والاعتزاز بالقبيلة، فلا يتكلم على لسان قبيلته فبطبيعة الحال حينما تنقطع الصلة بالمجتمع والبيئة التي كان يعيش فيها تنقطع بذلك عن فكره وكتابته، فيمكننا القول أننا أمام شاعر مجدد خرج عن أطر النمطية التقليدية، وهذا ملائم لرجل منطلق حر، يرفض السلطة والتسلط، يرفض القهر والاستبداد.

لقد ذاق الصعاليك مرارة الفقد والحرمان، «فالصعاليك مزيج اجتماعي يحيطه سياج من الفقر والبحث عن الذات ويجمعه نشيد واحد وصوت واحد، وهو صوت الخلاص والحرية»[2]، فكان تمردهم ناتجا عن الصراعات القائمة مع قبائلهم وكان نفورهم من الظلم والقهر رد فعل عن مظاهر الظلم الاجتماعي الذي خلق آثاره الواضحة في شعرهم ودافعا لتخلص الصعاليك من الخوف الذي كان فيهم وسعيهم لحفظ ماء وجوههم من الذل والاهانة فهم قادرين على كسب الرزق بأنفسهم فاتخذوا من الغزو والإغارة شعارا لهم وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته، المعجب بها، الفخور ببطولته فيها، ويصفون كل ما يحدث في هذه المغامرات فهذا الشنفرى يقول حين خرج في غارة مع رفاقه:

**دَعيني وَقولي بَعدُ ما شِئتِ إِنَّني سَيُغدَى بِنَعشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ**

**خَرَجنا فَلَم نَعَهد وَقَلَّت وَصاتُنا ثَمانِيَة ما بَعَدها مُتَعَتَّبُ**

[1] عمر بن عبد العزيز السيف، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص203

[2] غيثاء قادرة، لغة الجسد في أشعار الصعاليك، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013، ص 31 .

**سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ**

**نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحاً وَقَد طَوَت ثَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ**

**ثَلاثاً عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا عَلى العَوصِ شَعشاعً مِنَ القَومِ مِحرَبُ**

**فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ**

**فَشَنَّ عَلَيهِم هَزَّةَ السَيف ثابِتٌ وَصَمَّمَ فيهِم بِالحُسام المُسَيَّبُ**

**وَظِلتُ بِفِتيانٍ مَعي أَتَّقيهُمُ بِهِنَّ قَليلاً ساعَةً ثُمَّ خُيَّبوا**

**وَقَد خَرَّ مِنهُم رَاجِلانِ وَفارِسٌ كَمِيٌّ صَرَعناهُ وَخومٌ مُسَلَّبُ**

**يَشُنُّ إِلَيهِ كُلُّ ريعٍ وَقَلعَةٍ ثَمانِيَةً وَالقَومُ رِجلٌ وَمِقنَبُ**[1]

هكذا كانت لغتهم الشعرية تعبيرا عن قسوة وخشونة الحياة، والدلالة في ذلك طغيان حروف الجهر كحرف الباء حيث تكرر في عدة مواضع من القصيدة ( متعب، مذهب ، مغيب...) فكان ذلك أكبر برهان على الجهر والبوح بالثورة والإعلاء من صوتهم وإثبات أنفسهم وتحقيق الذات، ومن هنا نستطيع أن نقول أن الشعر عند الصعاليك لم يكن حرفة تقصد لذاتها، ويفرغ صاحبها لتجويدها وإنما كان الشعر عندهم وسيلة يسجلون بها مفاخرهم، أو ينفسون بها عما تضيق به صدورهم من تلك العقد النفسية التي تمتلئ بها أعماق نفوسهم، أو يدعون بها إلى مذهبهم في الحياة علهم يجدون من يؤمن به وينظم إليهم أما أن يرضى عنهم المجتمع الذي يعيشون فيه فهذا لم يكن في حسابهم فهم مدركون أن مجتمعه لن يرضى عنهم ولا عن فنهم ولن يحرص عليه كما لم يحرص عليهم ويعرفون أن القبائل لا تحرص إلا على شعرائها ولا تقيم وزنا إلا لهم، ولا تخص بالتقدير والإعجاب إلا شعرهم وهكذا انصرف الشعراء الصعاليك عن احتراف الشعر، ولو

[1] الشنفرى، الديوان، إعداد وتقديم: طلال حرب، ص 34 .

أنهم فكروا في احترافه لا تخذوا منه وسيلة يكتسبون بها كما يكتسب بها غيرهم من الشعراء، و لضمنوا لأنفسهم حياة هادئة مستقرة مطمئنة كالتي كان يحياها غيرهم من الشعراء المحترفين.

## المبحث الرابع: صور من العجائبية في حياة الصعاليك:

كان شعر الصعاليك صورة لحياتهم وتعبير عن هذه الطبقة التي يعيشها هؤلاء الصعاليك كما أن أشعار الصعاليك تعتبر الوسيلة الوحيدة للتعبير عن ذلك التمرد والثورة والانفصال فخلقوا مقطوعات وقصائد شعرية عبر فيها الشاعر عن كل مآثره فيسجل فيه كل ما يدور في حياته الحافلة بالمخاطر والحوادث المثيرة من قصص غزو وغارات وسلب ونهب وفرار وأكثر ما تميز به الشعراء الصعاليك دون غيرهم وتغنوا به في قصائدهم هو سرعة عدوهم المذهلة التي فاقت العادة بالإضافة الى صداقتهم للحيوانات المتوحشة واستئناسهم بها كما أنهم اشتهروا بغاراتهم المنفردة فكل هذه الظواهر المثيرة للدهشة جعلت من شعرهم يتفرد عن باقي الشعر العربي القديم فبرزت بذلك ظاهرة جمالية ألا وهي العجائبية فهي ظاهرة تثير في المتلقي الدهشة والانبهار فتجعله يقف متسائلا هل هو حقيقة أم مجرد خيال؟ ومن هذا المنطلق سوف نتكلم عن ثلاثة جوانب من عجائبية الصعاليك:

### 1-سرعة الجري:

وكانت مشاق الرحلة في الصحراء تتطلب قوة وصلابة لم يجد لهما مثيلا، وقد اتسم الشعراء الصعاليك بحظ وافر من الشجاعة والجرأة وقوة الجسد، وتفيض أخبارهم وأشعارهم بأحاديث هذه القوة، وتتردد هذه الأحاديث في أخبار معاصريهم فتتجلى معالم العجائبية والخوارقية من خلال أشعارهم والأحاديث التي رويت عنهم ووصفهم للقوة التي يتمتعون بها ومن أشد ما يلفت النظر من مظاهر هذه القوة سرعة العدو الخارقة للعادة التي تميزت

بها هذه الطائفة من الصعاليك حتى أطلق عليهم اسم "العدائين"[1] أو "الرجليين" أو "الرجيلاء"[2]، فأصبحت هذه السمة ملازمة لهم يعرفون بها فيضرب المثل بجماعة منهم في سرعة العدو فيقال "أعدى من الشنفرى"[3] و"أعدى من السليك"[4]

فيروى عن السليك بن السلكة السعدي أنه قد «رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاءوا ليغيروا على تميم ولا يعلم بهم، فقالوا: إن علم بنا السليك أنذر قومه، فبعثوا اليه فارسين على جوادين، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي، فطارداه سحابة يومها، ثم قالا: إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصر من العدو فنأخذه، فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة ونذرت قوسه فانحطمت، فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالأرض فقالا: ما له أخزاه الله ما أشده وهما بالرجوع ، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه فإذا أثره متفاجا(...) فانصرفا عنه، وتم الى أهله، فأنذرهم، فكذبوه لبعد الغاية»[5].

لقد وصفت معظم مصادر الأدب الصعاليك بالسرعة الفائقة، إذ أنهم قورنوا بسرعة الخيل أين جعلوا الخيل في مرتبة تلي الصعاليك في العدْو حين قالوا: «لا تلحق بهم الخيل»[6]، هنا يتعجب عقل الإنسان فيظن أنه ضرب من الخيال وهذا ما يصنف ضمن مظهر من مظاهر العجائبية، وقد أفاضت هذه المصادر بأحاديث حتى لأنها تبدو أحيانا مبالغ فيها وغير مقبولة؛ فقيل عن تأبط شر: أنه «كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين»[7] فكان «إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء، فينتقي على نظره اسمها، ثم يجري خلفه، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله»[8]، ووصفوا

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص43

[2] المرجع نفسه، ص43 .

[3] الشنفرى، الديوان، جمعه وحققه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1996، ص 10.

[4] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 42 .

[5] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج 1، د ط، دار المعارف، القاهرة، ص 367

[6] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 43

[7] المرجع نفسه، ص43

[8] المرجع نفسه، ص 43

خطو الشنفرى في الروايات أن درع ليلة قتل، «فوجدوا أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة، والثانية سبع عشر خطوة، والثالثة خمس عشرة خطوة»[1] ومن باب الطرفة أن تأبط شر كان يصف رفيقه في الصعلكة حين يعدو «أنه قد طار»[2].

وكان هؤلاء الصعاليك يفتخرون ويعتدون بهذه الميزة التي تفردوا بها عن سائر البشر فقد كانت تيسر لهم سبل النجاة من أعدائهم، فيصف تأبط شر سرعته ويعتد بها فهو أسرع من كل شيء حتى الخيل والجياد والطيور فوق قمم الجبال فقد أنجته من موت محقق، فلولاها لآمة امرأته ويتم أولاده، وكما نجد ذلك أيضا في لامية العرب بصورة قوية لهذه السرعة نرى فيها الصعلوك يصف لنا القطا الظامئة وهي نوع من أنواع الطيور وتعيش في الصحراء وهي تسرع إلى الماء حيث أجرى مباراة طريفة بينه وبينها للوصول إلى الماء التي تنتهي بتغلبه عليها، وإدراكه للماء قبلها وقد وصل وشرب وأطفأ ظمأه وهي ما تزال في طريقها إليه وعند وصولها لم تجد إلا سؤرا تشربه من بعده[3].

وقد اتصف السليك بن السلكة بسرعة في الركض لمسافات بعيدة حتى بعد أن كبر وشاخ، «فيحدثنا الرواة أنه نزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه، وجمعوا له إبلا كثيرة، وأعطوه إياها، وكان قد كبر وشاخ، وذهبت قوته، فقالوا له إن رأيت أن ترينا ما بقي من عدوك؟ قال: نعم، أبغوا لي أربعين شابا، وآتوني بدرع ثقيلة عظيمة. فأتوا بها، واختاروا من شبانها أربعين من الأقوياء العدائين، فلبس سليك الدرع، ثم قال للشبان الحقوا بي وعدا وسطا وعدى الشباب وراءه جهدهم، فلم يلحقوه حتى غاب عنهم، ثم كر راجعا حتى عاد إلى القوم وحده والدرع عليه»[4].

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 44

[2] المرجع نفسه، ص 44

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 45

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص365 .

وعلى ما في هذه الأحاديث عن سرعة العدو من مبالغات يقف المرء حيال حقيقتها متسائلا: هل يمكن أن يكون هناك أشخاص بهذه السرعة العجيبة؟ على حسب ما روي عنهم فهؤلاء الصعاليك امتازوا بسرعة خارقة للعادة فلفتت أنظار الرواة فسجلوها بما فيها من مبالغات.

**2-صداقة الحيوانات:**

عرف الصعاليك بأنهم قد احتقروا من طرف أهاليهم وقبيلتهم فاضطروا للعيش منفردين فأقاموا لأنفسهم مجتمعا فوضويا شريعته القوة ووسيلته الغزو والغارة وهدفه السلب والنهب فاتخذوا من الصحراء ملجأ لهم حيث لا قيود تقيدهم ولا سلطان عليهم فرفضوا العيش في القبيلة تحت براثن الفقر والفاقة، «وقد صور يوسف خليف حياة هؤلاء الشعراء الصعاليك المنبوذين في معترك الحياة اجتماعيا ورأى أنهم خرجوا على الحياة المهينة التي يعيشونها على هامش المجتمع في أطرافه البعيدة المترامية ليحيوا حياة كريمة أبية»[1].

وأخبار هؤلاء الصعاليك وأشعارهم تحفل بأحاديث هذا التشرد في أنحاء الصحراء بما فيها من ظلام وهول وقفر، فاتخذوا من الوحوش والحيوانات أصدقاء وأخلاء لهم فوجدوا فيهم من الأنس ما لم يجدوه في البشر فقيل عن تأبط شر أنه من كثر ما عاش بين تلك الوحوش ألفت وأنست به واطمأنت إليه فلا تهرب ولا تهجم، بل تبقى في مكانها[2] وكيف لا، وهو يعيش معها وبينها فهو «يأبى أن يخضع لأعراف المجتمع وتقاليدهن ويصر على أن يفرض نفسه وسلوكه على المجتمع، فإذا لم يقبل الناس منه ذلك فان في الأرض متسعا له لا يعبر عنه بالأماكن، وإنما بالأفاق»[3].

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 32-33

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 55

[3] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 1979، ص46

أما صعلوك لامية العرب فقد عبر عن ثورته على المجتمع البشري والهجرة إلى مجتمع الضواري، ساخطا عن الأول، وراضيا عن الثاني فوجد في غياهب الصحراء أهلا له، فعلى الرغم من خطر هذه الوحوش الكاسرة، إلا أنه يرى فيها السند والأهل يفضلهم على قومه، فوجد فيها من الأنس ما لم يجده في أهله فيأتمنها على أسراره ولا يتخلون عنه عكس من كان بينهم تخلو عنه قبل أن يتخلى عنهم، فالتشرد في الصحاري جعل الصعاليك على صلة قريبة بحيواناتها فاستطاعوا أن يعرفوا طباعها وعادتها وأن يتحدثوا عنها حديث الخبير المطلع فحضور الوحش في شعر الصعاليك وحديث الشنفرى عن الحيوان كان أمرا حتميا جاء نتيجة لجوئهم إلى الفيافي الموحشة، ولكن هل يمكن لبشر أن يستأنس بوحش ضاري؟ فنجد أنفسنا أمام أمر غير مألوف وقد يبدو عجيبا.

### 3-الغزو المنفرد:

إلى جانب تلك السرعة الفائقة التي يتمتع بها الصعاليك والتي ذكرناها سابقا نجد أيضا حب المغامرات واستخفافهم بالمصاعب، وما أعانهم في غمرة ذلك أن لهم قوة وجرأة وشجاعة ندر أن نرى مثيلا لها، فتجلت من خلال غاراتهم المنفردة الفريدة من نوعها لما لها من أثر في النفوس من دهشة وغرابة " والواقع أن الصعاليك اثروا موجة فنجد الشنفرى يروي لنا إحدى غاراته المنفردة في أحد الليالي الموحشة القاسية حيث كان الجوع الشديد يمزق أحشائه خرج بمفرده في جو بارد فخاطر بحياته ليغير على أحد القرى في نجد حيث أنه نهب وسلب وقتل ما قتل فكان له ذلك أن أيما نساءهم وأيتم أولادهم ورجع غانما ولما جاء الصباح خرج أهل تلك القرية في دهشة وحيرة شديدين من تلك الغارة العجيبة وما خلفته من أثار أليمة فأخذوا يتساءلون «لأنهم تعودوا أن يقوم بالغارة جماعة من الرجال لا فردا واحدا، وأن يشعروا بها فيدافعون عن أنفسهم وحريمهم، أما أن تكون بهذه

الصورة الخاطفة فهذا الأمر غير مألوف فتسألوا عن تلك الليلة المهولة حتى أنهم استغربوا عما إذا كان من قام بذلك من الجن أمن من الإنس[1].

كما قيل أيضا عن تأبط شر "أنه يغزو على رجليه أي وحده"[2]، ففي إحدى مغامراته الخطيرة والتي كاد يلقى حتفه فيها، خرج إلى غار في بلاد "هذيل" ألد أعدائه ليشتري عسلا فعلمت به هذيل؛ وهي قبيلة ما قعدت يوما في طلبه، فهبوا إلى محاصرته لأن الفرصة أصبحت سانحة لقتله لكنه ظل يراوغهم، حتى تمكن من الفرار والنجاة من خلال استعانته بحيلة حيث جعل يسيل العسل من الغار، ولم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليما، ساعده في ذلك متانة صدره ونحافة جسمه فخرج وترك "لحيان" تتأسف على إفلاته[3].

ومن خلال ما سبق عن الأحاديث التي رويت عن الصعاليك، فمن يمعن النظر فيها يلاحظ هيمنة العجائبية عليها فمعظم هذه الصور لسرعتهم وعدوهم وغاراتهم تنطوي على الغرابة واللامألوف فتجذب القارئ فتبث فيه الدهشة والعجب.

[1] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 51.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 312.

[3] ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 186- 187.

# الفصل الثاني

**المبحث الأول: مظاهر العجائبية في شعر الصعاليك:**

**1-الاستهانة بالحياة:**

**2-مصاحبة الحيوانات:**

**3-سرعة العدو:**

**4-الغزو المنفرد:**

**المبحث الثاني: الصورة الشعرية:**

**1-التشبيه:**

**2-الاستعارة:**

**3-الكناية:**

## المبحث الأول: مظاهر العجائبية في شعر الصعاليك:

### تمهيد:

تمظهر العصر الجاهلي بأشكال مختلفة المسار، وظهر فيه الشعر كوسيلة غائية، لما يطبع في حياة وبيئة ذلك الشاعر، خاصة وأنه وليد الفطرة والنبوغ، وكان يدرك المعاني التي تلامس محيطه بشكل دقيق، وتعبر عن عوالمه بنسق مضمر، تفهم معناه عندما تستشعر بما يعيشونه، ولكن لكل شاعر صنعته التي تميزه عن شاعر آخر لذلك تعددت الطوائف.

وبشكل أضيق نتحدث عن طائفة الصعاليك، التي انفردت بميزات جعلت منهم أعجوبة زمانهم وخلف هذه الأعجوبة مظاهر تتجلى في المأساة، والتمرد على قبائلهم وما لقوه من ذل وهوان وشقاء وعبودية، وعاشروا الصحراء برمالها ووحوشها وضواريها، ونلمح ذلك من خلال مقاطع أشعارهم وموضوعاتها العجيبة، التي تظهر في دنياهم التي لم يبالوا بها ينتظرون موتهم بلهفة كمن ينتظر عمرا مزهرا ولو بعد حين، حياة الخلود في السماء وليس في الأرض ونلمس كذلك استئناسهم بحيوانات الصحراء فوجدوا الوفاء من كائن لا تمت لهم به صلة القرابة، والأمر الذي أدهش كل دارس لحياة الصعاليك أن لديهم من السرعة ما يجعلهم ينافسون تلك الحيوانات في سرعتها، فشرايين سرعة العدو تسري في أرجلهم التي لم ينكبوا عن وصفها والافتخار بها.

أنه لأمر عجاب مجرد تخيله فقط لا يدركه العقل هنا تكمن بصمة الخروج عن المألوف فالصعلوك حمل لواء المسؤولية لنفسه، رغم ما لاقاه من عنصرية واحتقار إلا أن فيه من النبل ومكارم الصفات ما يحتذى به، فرغبتهم في قطع طوق الفقر عن أعناق الفقراء، ولين قلوبهم للعمل النبيل وحب الخير للإنسانية، هو ما جعلهم مميزين وموضع اهتمام فهم الفقراء والمحتاجون والمؤلفة قلوبهم يطعمون ويطعمون فيغيرون قبائل الثراء والجشع وينهبون ما يسد جوعهم ويروي ظمأهم، فاعتبروا هذه كمهنة تجلب لهم الرزق،

هاته مجرد ملامح ما هي إلا عينة من حياتهم العجيبة ولكي نلج في تفاصيل حياتهم المثيرة للدهشة نستهل ذلك بـ:

## 1-الاستهانة بالحياة:

وتتجلى مظاهر العجائبية عند هؤلاء الصعاليك في قوة نفوسهم، وتتمثل في استهانتهم بالحياة مؤمنين بفكرة الفناء في سبيل المبدأ، فهم لا يبالون بحياتهم ولا يخشون الموت، فيقبلون على الموت وكأنهم يقبلون على الحياة، فهو فكر فلسفي لديهم يتمثل في خلود الروح في السماء وفناء الجسد في التراب، ففكرة الموت عندهم تحدي بكبرياء شديد، فمن لا يهاب الموت ولا يتمنى النفور منه، لكن الصعلوك نجده ينتظره كمن يتمنى أن يلاقي ما يريده ذلك الغد، فهو بمثابة رقي وهم يجرون حتف الموت وليس بالموت الذي يجري وراءهم، ومن الشعراء الذين نجد لديهم هذه المظاهر نذكر الشنفرى حيث يقول:

**إِذا ما أَتَتني مِيتَتي لَم أُبالِها وَلَم تُذرِ خالاتي الدُموعَ وَعَمَّتي**
**أَلا لا تَعُدني إِن تَشَكَّيتُ خُلَّتي شَفاني بِأَعلى ذي البُرَيقَين غَدَوتي**
**وَإِنّي لَحُلوٌ إِن أُرِيَدت حَلاوَتي وَمُرٌّ إِذا نَفسُ العَزوفِ استَمَرَّتِ**
**أَبيٌّ لِما آبي سَريعٌ مَباءَتي إِلى كُلَّ نَفسٍ تَنتَحي في مَسَرَّتي**
**وَلَو لَم أَرِم في أَهلِ بَيتي قاعِداً إِذَن جاءَني بَينَ العَمودَين حُمَّتي**[1]

اللافت في هذه الأبيات صورة الصعلوك الشجاع الذي يمثله الشنفرى فلا يبالي بالموت ولا يجزع منه بل يعانقه معانقة، حتى أنه راغب في أن ترمى جثته في الطبيعة التي عاش في حضنها، بين ربوعها وتلالها ووديانها، كي تفترسه الوحوش والسباع، لعله بذلك يتابع حربه التي لا هوادة فيها من خلال هذه الوحوش فيكون عنصرا متناغما من عناصر الطبيعة الحية، وفي هذه الأبيات نبرة الأسى والمعاناة والحرمان التي تنبعث من

[1]- عمر بن مالك، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1418هـ-1996م، ط2، ص38.

نفس عانت الشقاء في واقع اجتماعي ظالم، سلبه ذاته وحط من كرامته لهذا حاول الارتقاء بنفسه من واقع الذل والمهانة، إلى واقع الحرية والوجود والفناء في سبيل المبدأ، فلا يتردد في إقحام نفسه في المنية، فهو لا يعرف لين العيش لأنه يرى فيه موتا بطيئا له.

ويقول في ذلك أيضا:

**فَإِن لا تَزُرني حَتَفتي أَو تُلاقِني أَمَشّي بِدَهوٍ أَو عِدافٍ بَنَوُّرا**
**أُمَشّي بِأَطرافِ الحَماطِ وَتارَةً تُنَفَّضُ رِجلي بُسبُطاً فَعَصَنصَرا**
**أُبَغّي بَني صَعبِ بنِ مُرٍّ بِلادَهُم وَسَوفَ أُلاقيهِم إِن اللَهُ أَخَّرا**
**وَيَوماً بِذاتِ الرَسَّ أَو بَطنِ مِنجَلٍ هُنالِكَ نَبغي القاصِيَ المُتَغَوَّرا**[1]

يظهر الشنفرى في هذه الأبيات لا مبالاته بحياته، ويقدم للموت إقدام الباسلين وكأنه يقبل على استلام جائزته، فهو يعلم أنه حتمي لا مفر منه ولكنه لا يهابه ولا ينفر منه، بل على عكس ذلك فلا تهمه نفسه ولا حياته، بقدر ما يهمه تحقيق هدفه وهو الانتقام ممن أوقع به الظلم، فلا يرده خوف ولا يردعه جبن، وكما عبر فيها عن فلسفته في الحياة، وهي فلسفة ارتهنت بروح التمرد والثورة داخل نفسه.

وعندما أراد بنو سلمان قتل الشنفرى، قالوا له أين نقبرك، فقال:

**وَلا تَقبُروني إِنَّ دَفني مُحَرَّمٌ عَلَيكُم وَلَكِن أَبشِري أُمَّ عامِرِ**
**إِذا ضَرَبوا رَأسي وَفي الرَأسِ أَكثَري وَغودِرَ عِندَ المُلتَقى ثَمَّ سائِرِي**
**هُنالِكَ لا أَرجو حَياةً تَسُرُّني سَجيسَ اللَيالِي مُبسَلاً بِالجَرائِرِ**
**لَقُلتُ لها قَد كانَ ذَلِكَ مَرَّةً ولَستُ على ما قَد عَهدتُ بِقادِرِ**[2]

[1]– عمر بن مالك، ديوان الشنفرى، ص46.

[2]–المصدر نفسه، ص48.

فشاعرنا هنا حتى في لحظات نهاية حياته يعلن فيها عن نقمته الصارخة على مجتمع البشر ورفضه الأكيد لتقاليده وأعرافه، وعدم رغبته في احتضان البشر الآدميين حتى وهو جثة فاقدة للحياة، ففي تلك اللحظة الصعبة تذكر كل ما لاقاه من ظلم الناس له ولم يجد من ضرورة لدفن جسده في أرض رفضه أناسها، فالشاعر هنا هانت عليه جثته وفضل أن ترمى في الصحراء، فلا يخشى على جسده من الضبع بل يهيئ لها منه وليمة شهية، وهو لهذا يبشر أم عامر بمقتله فيقصد الضباع بذلك وكأنه يقول: فلتنعم الوحوش بافتراس جثتي، لأنها كانت أحن علي، وأرحم من بني قومي، فكيف لحي أن يجرأ على أن يوصي بجثته للضباع وهو على قيد الحياة؟ وهنا تظهر العجائبية في استخفافه بحياته والمعروف ان حب الحياة فطرة جبل عليها الإنسان.

لقد كان الصعاليك شجعانا مغامرين لا يبالون بالأهوال والمخاطر، فحينما ننتقل إلى شخصية أخرى من شخصيات هؤلاء نجد أن عروة بن الورد قدم لنا صورة عن الصعلوك النبيل المعطاء المسؤول عن رفاقه حد الشعور بالذنب إن أصابهم مكروه، فالصعاليك يخاطرون بحياتهم لتحقيق غرض شريف في نظرهم هو مسح دموع البائسين، وبث نسائم الحياة في عروقهم حتى لو أبلغهم ذلك حتفهم، لأن الموت عندهم حتم لا مفر منه قال عروة بن الورد لزوجته:

**أَقِلّي عَلَيَّ اللَومَ يا بِنتَ مُنذِرٍ وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاِسهَري**
**ذَريني وَنَفسي أُمَّ حَسّانَ إِنَّني بِها قَبلَ أَن لا أَملِكَ البَيعَ مُشتَري**
**أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيرُ خالِدٍ إِذا هُوَ أَمسى هامَةً فَوقَ صُيَّرِ**
**ذَريني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني أُخَلّيكِ أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضَري**
**فَإِن فازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُن جَزوعاً وَهَل عَن ذاكَ مِن مُتَأَخِّرِ؟**

وَإِن فازَ سَهمي كَفَّكُم عَن مَقاعِدٍ لَكُم خَلفَ أَدبارِ البُيوتِ وَمُنظَرِ[1]

انطلق عروة في صعلكته على أساس إنساني سامي قائم على رفض وضعية الفوارق والتناقض ونبذ التمايز التي يعج بها مجتمعه، فوجد أن الفقر هو الآفة الخطيرة التي يتوجب عليه محاربتها، والقضاء عليها من خلال العمل، فسعى سعيا دؤوبا وراء العيش الكريم وإعلاء صوت الحياة الكريمة، وهذا العمل يقصد به الغزو والإغارة فكان يغير على أولئك الأغنياء البخلاء الذين أعماهم الجشع عن رؤية الفقراء، ليسلبهم بالقوة ويهب كل غنائمه لولائك المسحوقين والمقهورين، فالجود والكرم والإيثار من أكثر السمات التي اتصف بهم عروة حتى سمي بعروة الصعاليك، لأنه كان يؤثر غيره بما يملك حتى وهو في أمس الحاجة إليه يجوع ليشبعوا ويسهر ليناموا، فعد نفسه مسؤولا عن كل واحد منهم والجميع عياله.

كان عروة مثال لصعلوك النبيل والقائد الرحيم، فتجلت معاني الإنسانية فيه بأبهى صورها فالكرم متأصل في شخصية عروة وانفرد بها عن باقي الصعاليك، يسعي في مناكب الأرض يبتغي الرزق للمستضعفين من الناس فاختار الثورة وتحطيم غرور تلك القوانين القبلية مقتنعا بجدواها، وتسلح بالعزيمة والإصرار، فإما أن يصيب سعيه فتكون النتيجة مالا وفيرا، وهذا مراده وأما أن يموت دون الوصول، ويكون الموت وقتئذ كريما، وخيرا من حياة ذليلة في ضل العوز والفقر، فكان هذا مبدأه الخاص في الحياة يموت لأجل أن يحيا الآخرون، فكان صاحب فكر استشرافي فلا يأبه للمخاطر والصعاب في سبيل بلوغ غايته، ومن هنا نستنبط فلسفته العجيبة والفريدة من نوعها، فغريب أن يتخلى شخص عن حياته فهي أغلى ما يملك فيكرسها في سبيل الآخر .

ويضيف إلى ذلك أيضا فيقول:

---

[1]–أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1998م، ص35.

**إذا المَرءُ لَم يَبعَث سَواماً وَلَم يُرَح عَلَيهِ وَلَم تَعطِف عَلَيهِ أَقارِبُه**

**فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ فَقيراً وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقارِبُه**

**فقلت له الا أ حيا وأنت حر ستشبع في حياتك أو تموت**

**فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا**[1]

فالموت بالنسبة له جزء من حياته الطبيعية حتى أنه يرى مماته أفضل من حياة يعيشها محتقرا، ذليلا تحت براثن الفقر ،فقد كانت نظرت المجتمع قاسية أبعد حدود القسوة نحو الفقير، فهو يرى أن الفقر هو العامل الأساس القابع وراء معاناتهم أو هو المؤسس المباشر لها فيتمنى لو كان غنيا، ليس لحب للمال في نفسه أو طمع بثراء، وإنما يريده وسيلة لكشف رداء الفقر عن ذوي الخصاصة، فالسعي والرحلة في طلب الغنى، خير ما يواجه به غوائل الأيام، وإلا فالموت خير له من موقف العجز والمذلة،لذا فضل الموت على أن يحيا حياة الذل والمهانة ،فلا يهاب الموت ويقبل عليه إقبال المستلم لجائزته، فهو مؤمن بقضية يصعب التراجع عنها، والواقع أنه يرى الموت أخف وطأة من عيشة الذل.

وفي نفس الصدد يقول تأبط شر:

**وإنَي وإِن عُمرْتُ أعْلمُ أنَنِي سَألْتقِي سِنانَ المَوْتِ يبْرُقُ أَصْلَعًا** [2]

يذكر تأبط شر في هذا المقام، أن الموت آت ويصل إلى المرء أينما كان، لا ترده حصون، ولا تمنعه أسوار، فمهما عمل وعاش في هذه الدنيا ستزوره حتفه بوجه براق لامع، فالموت نهاية كل حي، وما يدعو للعجب أنه سيستقبله بكل رحابة صدر وسرور، فهو يعلم تمام المعرفة أنه لا مهرب منها ولا منجي، ومن المألوف أن طبيعة الإنسان تجعله يخشى الموت برغم علمه باستحالة النجاة منها أو الهروب.

---

[1] أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، ص38.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ص35.

ومن بين الصعاليك الذين استهانوا بالحياة نجد السليك بن السلكة فيقول:

**أَخْرِجِ النِحَام واعْجِل يا غُلاَما واقْذف السَرْج عَليْه واللِجَاما**

**وَأخْبِرِ الفِتْيَان أَنِى خَائِضٌ غَمْرَت الْمَوْتِ فَمَنْ شَاءَ أَقَاما** [1]

وهنا تتجلى معالم استهانته بالحياة، حيث يأمر الغلام أن يخبر الفتيان أنه سريع إلى غمرة الموت، فالذي يخاف يبقى، إذ انه لا وقت لديه للانتظار ولكي يقهر الموت لابد له من النضال لمواجهة أعدائه دون أن يجفل منهم،لكن الصعاليك وان كانوا خارجين عن نضام القبيلة فهم لم يتخلوا عن مروءتهم وشهامتهم، يلتزمون بالقيم المعرفية التي تقر بالتعاطف على الجريح والمقتول كما يتسمون أيضا بقدر عال من عزة النفس والكبرياء لا يرضون المذلة ولا الهوان، ولهذا نجد السليك يستهين بحياته ويسعى لأن يموت ميتة كريمة، وهو يتعجل مقابلة الأحداث، حيث عبر عن تلك المعاني السريعة بألفاظ تتزاحم على لسانه بعضها يسحب بعضها بسرعة.

## 2-مصاحبة الحيوانات:

اتسعت آفاق ظاهرة الصعلكة بفعل القوانين الجائرة التي فرضتها القبيلة وأذكتها طبيعة الحياة، ومن بين هذه القوانين قانون الخلع الذي يغدو به المخلوع مجردا من الانتماء، وبما أن الصعاليك قد تمردوا على القبيلة بنظامها وقوانينها وعاداتها وقيمها، فإننا نجد الصعلوك بذلك يحاول استبدال مجتمعه بمجتمع جديد، وكسر طوق الانتماء بينه وبين قبيلته، فيرى الصحراء أمامه أمه وحاضنه وملاذه الوحيد، وهذا المجتمع ليس أي مجتمع بل كان مجتمعا للوحوش والضواري، حيث لا قيود ولا قانون يقيدهم فكونوا عالمهم الخاص حيث لا مكان فيه للأذية أو الظلم والقهر المليء بالأحبة والأصدقاء وهم الذئاب والضباع، ولعل أقوى ما صور به هذا التشرد في شعر الصعاليك هاتان الصورتان

[1]- محمد أحمد شهاب سامراء، السليك بن سلكة أخباره وشعره، مطبعة الغاني، بغداد، 1404هـ-1984م، ط 1، ص65.

المتشابهتان اللتان نجد أحداهما عند تأبط شر، والأخرى في لامية العرب، فكلا الصعلوكين مفارق مجتمعه النظامي حيث يعيش البشر، إلى أعماق الصحراء ودهاليزها القاسية حيث يعيش الوحش أما تأبط شر فقد ألفته الوحوش لطول ما عاش بينها حتى أنست به فيقول متحدثا عن نفسه:

**يَبِيتُ بِمَغَى الْوَحْشِ حَتَى أَلَفَتْهُ وَيُصْبُح لاَ يَحْمِي لَهَا الدَهر مَرْتَعًا**

**رَأَيْنَ فَتَى لَا صَيْد وَحْشٍ يَهُمُه فَلوْ صَافَحْتُ إنْسًا لَصَافَحْنَه مَعًا**[1]

إن ما مميز الصعاليك هو انفرادهم بصفات يعجز عنها غيرهم من البشر، فقد اختاروا العيش في الخلاء وسط الوحوش، وهذا حفاظا على كرامتهم، فكانوا يسلبون كل من سلب ذواتهم وحط من قيمتهم، ويحاولون تغيير واقعهم الموصوف بالذل والمهانة إلى واقع يتسم بالحرية والكرامة وقوة الوجود، وقد اختاروا الشعر كوسيلة للتعبير عن حياتهم الخارجة عن نظام القبيلة الاجتماعي، ففضلوا مجتمع الحيوانات التي فيها من الصفات ما جعلهم يتعلقون بها ويحبون العيش معها فيهم من الحضن الدافئ ما ليس في أهله من البشر، وفي شعر تأبط شر ما يدعو للدهشة فقد ألفته الوحوش الضارية وهو لا يكتفي بإثبات التعود بينه وبينها بل باتت الصورة توحي بارتباط وثيق بها واتصال أوشاج القربى بينه وبينها فلا تهجم عليه، بل وقد تصافح إنسانا صافحه تأبط شر، وبذلك نخلص أن العجائبية قد وجدت منفذا إلى حياة هذا الصعلوك المليئة بما يعجب له عقل الإنسان، فهل من المعقول أن يستبدل الشنفرى قومه الآدميين بهاته الحيوانات البرية؟

وأما صعلوك اللامية فقد وجد في ضواري الصحراء أهلا له، يستعيض بها عن أهله من البشر، ويجد بينها الأمن والطمأنينة فيرى أن مجتمع الحيوانات أفضل من المجتمع الإنساني فيقول مخاطبا أهله:

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص 55-56.

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمْيَلُ

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرْحلُ

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ

هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ [1]

لقد أسهمت عاطفة الشاعر المنفعلة الحزينة جراء الواقع الذي يعيشه وما يكتنفه من فقر وعوز وما نجم عن ذلك الواقع الكئيب أن أعلن انضمامه إلى عالم جديد لرغبته في تكوين مسكن أليف لعائلة لا تربطه بها رابطة الدم، فلم يتوان الشنفرى في وصف صورة انفصاله النهائي عن أهله وعشيرته من خلال أبياته الصادقة التي تنم عن شقاء وجسد أنهكه الحرمان فيقول "ولي دونكم أهلون" ويركز الشنفرى في صدر خطابه على تسميتهم بالأهل فهنا يقر عن استغنائه عنهم، وخروجه عن أعرافهم، وبتر العلاقة بهم، أين يجد عيشا كريما بعيدا عنهم وعن الظلم الذي تمارسه تجاهه، بل وقد تجاوز ذلك ووصف الضواري التي التجأ إليها في الفيافي، فألصق بهم بعضا من صفات البشر التي تمنى لو كانت موجودة في القبيلة فالتمس فيهم الوفاء والانتماء والقدرة على إعطاء الحنان والحب وهو ما يفتقده الشنفرى بعكس من اعتبرهم أهله خذلوه وتخلو عنه فجعل يصور لنا وجوده بينها بصورة مثالية، حيث وجد في ذلك المجتمع ما افتقرت منه قبيلته ألا وهو المساواة بين الناس، وهو بصدد تأكيد بل ونفي الصفات الإنسانية وغيابها الكلي عن المجتمع الذي كان يعيش فيه وتوافرها بين الوحوش البرية، هنا تكمن العجائبية، فهل يمكن للوحوش أن تستأنس ببشر؟ فنحن أمام أمر عجيب لا نألفه.

[1] ديوان الشنفرى، شرح وتحقيق: اميل بديع يعقوب، ص58.

وكذلك نجد عروة أيضا يحكي لنا عن استئناسه بالذئب وعوائه فيقول:

**وإني لأستحي من الله أن أرى ***** أجرّر حبلاً ليس فيه بعير**

**وأن أسأل الحبس اللئيم بعيره ***** وبعران ربيّ في البلاد كثير**

**عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ***** وصوّت إنسان فكدت أطير**[1]

ولا يتوقف الأمر عند هؤلاء الصعاليك بالاستئناس بالحيوانات فقط، بل يتجاوز ذلك إلى تعرضهم بالوصف الدقيق، لأحد هذه الحيوانات الأمر الذي لا يتهيأ إلا بالاقتراب منها، والتواصل معها فيعرف، بذلك طبائعها وعاداتها، ففي شعر عروة وصف للأسد فيقول في ذلك:

**تَبَغّانِيَ الأَعداءُ إمّا إلى دَمٍ وَإمّا عُراضِ الساعِدَينِ مُصَدَّرا**

**يَظَلُّ الإباءُ ساقِطاً فَوقَ مَتنِهِ لَهُ العَدوَةُ الأولى إذا القِرنُ أَصحَرا**

**كَأَنَّ خَواتَ الرَعدِ رِزءُ زَئيرِهِ مِنَ اللاءِ يَسكُنَّ العَرينَ بِعُثَّرا**[2]

## 3-سرعة العدو:

العيش في الفيافي والصحراء القاحلة يتطلب قوة وصبرا عاليين، ولذلك كان لابد للصعلوك أن يكون قوي الجسد موهوب النفس، ليعينه ذلك في حربه اللامتكافئة في غياهب تلك القفار الموحشة، لذلك احتل الشنفرى مكانة بارزة متميزة، لم يكن ليحتلها لو لم تتوافر فيه من الصفات الخاصة الكفيلة بمثل ذلك الصيت الواسع، فمن بين هذه الصفات نجد له شدة عدوه التي بلغت الآفاق، ولعل من الصور الطريفة التي صورها

[1] ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، أسماء أبو بكر محمد، ص38.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 243-244.

الشنفرى في سياق حديثه عن سرعة عدوه، هي صورة سباقه معا القطا الظامئة حيث يقول:

**وتشرب أَسْآري القطا الكدر بعدما ... سرت قربًا أحناؤها تَتَصلصل**

**هَمَمْتُ وهمت وابتدرنا وأَسْدَلَت ... وشَّمَر مني فارطٌ مُتَمَهلُ**

**فوليت عنها وهي تكبو لعِقْرِهِ ... يُبَاشِرُهُ منهل ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ**

**كأن وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ ... أَضَامِيْمُ مِنْ سَفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَّلِ**

**تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا ... كَمَا ضَمَّ أَذوادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ** [1]

مشهد أساسه الحركة السريعة، تكاد العين ترى الغبار يتطاير، وينتشر في أرجاء المكان البطل فيه هو الصعلوك، فنلمس في هذه الأبيات نوعا من الخيال والبعد عن الواقع، فهل يعقل لصعلوك أن يسبق الطير وليس أي طائر، فهي القطا التي تتمتع بسرعة فائقة؟ ولم يقف الشاعر عند هذا الحد من السرعة، بل نراه يحاول إضافة المزيد من الجرعات حيث أدرك الماء قبلها وقد شرب حتى ارتوى قبل أن تصل، هذا يعني أن الطيور لم تعد تجاري الصعلوك في سرعته وهذا إن دل على شيء فهو يدل سرعته الخارقة، فالسرعة التي امتاز بها هؤلاء الصعاليك لم تكن عادية بل كانت ميزة تفردوا بها عن سائر البشر، وتأبط شر كذلك من بين تلك الفئة التي اتسمت بسرعتها الفائقة اللامحدودة، التي تعدت نطاق ما يستوعبه العقل فيقول مفتخرا بنفسه:

**أُجاري ظِلالَ الطَيرِ لَو فاتَ واحِدٌ وَلَو صَدَقوا قالوا لَهُ هُوَ أَسرَعُ**[2]

فالشاعر هنا يتحدث عن أكثر صفة اشتهر بها وهي العدو السريع، ويتباهى بنفسه بل يتعدى بهذه الصفة في الإنسان لينسبها إلى أسرع الكائنات وهي الطيور وقد اختار الشاعر الطائر لما يتمتع به من خفة ورشاقة وسرعة في الطيران، تجعله ندا كفؤا

[1] ديوان الشنفرى، شرح وتحقيق: اميل بديع يعقوب، ص66.

[2] ديوان تأبط شر، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، ص 107.

للصعلوك ودلالة الطائر توحي بأن الصعلوك أسرع كائن على الأرض وبات يجاري طيور الجو، لابد لنا أن نقف مندهشين أمام هذه السرعة، صحيح أنهم اشتهروا بعدوهم لكن أن يصلوا لحد مجارات الطيور في الجو فهذا يبدوا خارقا وعجيبا، ونضيف إلى ذلك أحاديثهم عن فرارهم والهرب بعد غراتهم التي لم تكد تخلو عن سرعة العدو التي ما فتئوا يفتخرون ويشيدون بها، فنقف هنا عند نص آخر لتأبط شر، حيث أنجته سرعته من أعدائه وما أرسلوه خلفه من خيل سريعة:

**ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم ... بالعيكتين لدى معدَى ابن براق**

**كأنما حثحثوا حصا قوادمه ... أو أم خشف بذي شث وطباق**

**لا شيء أسرع مني، ليس ذا عذر ... وذا جناح بجنب الريد خفاق**

**حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي ... بواله من قبيض الشد غيداق**[1]

كانت وسيلته الوحيدة في الهرب من أعدائه ومتعقبيه سواء كانوا راجلين أم راكبين، هما ساقان يجاريان الريح، وأي ساقان فقد تميزا بسرعة نادرة، فمن العجيب أن نرى بشرا أسرع من الخيل والجياد والطير الجارحة، فتأبط شر كان أسرع ذي رجلين وسرعته خرقت المعقول وفاقت المألوف؛ فسرعته لم تكن عادية فقد أتاحت له النجاة من أعدائه أكثر من مرة وخلصته من موت محتم، فمن يسبق الخيل لابد له أنه يتمتع بسرعة فائقة وعجيبة. فقيل أيضا عن السليك بن السلكة، وهو أحد العدائين أنه أسرع ذي رجلين، وبرهان ذلك أنه قال في أبياته ما يدفعنا للدهشة والإعجاب بعدوه:

**كَذِّبْني العَمرانِ عَمرُو بنُ جَندَبٍ وَعَمرُو بنِ سَعدٍ وَالمُكَذِّبُ أَكذَبُ**

**ثَكِلتُكُما إِن لَم أَكُن قَد رَأَيتُها كَراديسَ يُهديها إِلى الحَيِّ كَوكَبُ**

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 44.

**سَعَيتُ لَعَمري سَعيَ غَيرِ مُعَجَّزٍ وَلا نَأنَأٍ لَو أَنَّني لا أُكَذِّبُ**[1]

مناسبة هذه الأبيات أن السليك رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاءت مغيرة على قومه لا يعلم بهم أحد، فقالوا إن علم السليك بنا أنذر قومه، فأرسلوا إليه فارسين على جوادين، فلما رآهما خرج يركض كأنه ضبي من شدة عدوه، فطارداه النهار كله ثم تعبا فقالا: إذا جن الليل تعب فنأخذه، فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة، فقفز وارتزت قوسه فتحطم بعضها، فقال: لعل ذلك من أول الليل ثم عجز، فتبعا أثره فوجدا بعض أثره فتبعا، ثم عجزا وانصرفا، وصل السليك إلى قومه فأنذرهم، إلا أن بعضهم كذبه لبعد الغاية فقد بدا لهم أنه من غير الممكن لشخص أن يعدو كل تلك المسافة الطويلة[2].

**4-الغزو المنفرد:**

المجتمع الجاهلي لم يكن متهاونا إزاء الخارجين عن الأعراف والتقاليد «إذ بلغت أعراف القبيلة حدا من القسوة، جعل القبيلة تتبرأ من ابنها الخارج على إرادتها المتمرد على سلطانها وأعرافها، فيقضي بقية حياته عن طريق الإغارة والسلب»[3]، فقد عاش الصعلوك وحيدا، شريدا متمردا، وأبى أن يقبل ما لحقه من ضيم، فامتشق الحسام، وانبرى يغزو ويسطو كثأر لحياته المليئة بالحرمان، وحرب على الظلم والظالمين، ولكن غارات هؤلاء الصعاليك لم تكن عادية، بل كانوا يقومون بها فرادى بطريقة عجيبة، وفي لامية العرب قصة غارة مفاجئة خاطفة، قام به الصعلوك في ليلة باردة، بعدما استبد به الجوع والبرد، ثم عاد سالما بعد أن حقق مراده فقال الشنفرى:

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 249.

[2] ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، جزء 1، دار المعارف، القاهرة، ص 367.

[3] -محمد نبيل طريفين ديوان اللصوص في العصر الجاهلي والإسلامي، جزء1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ط 1، ص 15.

**وليلةِ نحس يصطلي القوسَ ربُّها ** وأقطَعه اللاتي بها يتنبَّلُ**

**دعست على غَطشٍ وبغش وصحبتي ** سعار وإرزيز ووجر وأفكلُ**

**فأيمت نسوانصا وأيتمت إلْدةً ** وعدتُ كما أبدأتُ والليل أليلُ**

**وأصبح عني بالغميصاء جالسًا ** فريقان مسؤول وآخر يسألُ**

**فقالوا لقد هرّت بليل كلابنا ** فقلنا أذئبٌ عسّ أم عس فُرْعُلُ ؟**

**فلم تكُ إلا نَبْأة ثم هَوّمتْ ** فقلنا قطاة رِيعَ أم ريع أجدل؟**

**فإن يكُ من جن لأبرح طارقًا ** وإن يك إنسًا ما كها الإنس تفعلُ[1]**

من أبرز ما يميز الشنفرى عن بقية الصعاليك هذا التكوين النفسي العجيب، الذي يحمل من قوة الإرادة وصلابة العزيمة ما يثير الإعجاب على مر العصور، فهو نموذج لصعلوك المغامر الذي وضع نصب عينيه التغلب على المعاناة التي يقاسيها، والغرابة ليست في إرادته لذاتها وإنما تفرده بها عن بقية الصعاليك، وخير مثال على ذلك أنه كثيرا ما كان يغير بمفرده فيحقق من غاراته مناله منها،والشاعر هنا وصف لنا غارته الفريدة من نوعها فيختلط الواقع بالأسطورة في قصة جميلة ممتعة حيث جعل كل القبيلة تتعجب منه وتساءل ما إذا الذي قام بذلك هو من الجن أم من الإنس وذلك من شدة هول ما رأوه من سلب ونهب وقتل وكل هذا حصل وهم بغير دراية حتى جاء الصباح فاندهشوا من غارة هذا الصعلوك، فمن العجيب لبشر أن يفعل كل ذلك بمفرده فمن أخبار الشنفرى أنه كان «يغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فهم، وكان يغير عليهم وحده أكثر ذلك»[2]، فقد كان قانونه السلب والإغارة في مواجهة شبح الجوع وقساوة الحياة.

نضيف إلى غارة الشنفرى العجيبة غارة تأبط شر حيث يقول واصفا لها:

[1] اميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، ص69-70.

[2] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 52.

إِذا المَرءُ لَم يَحتَل وَقَد جَدَّ جَدُّهُ أَضاعَ وَقاسى أَمرُهُ وَهوَ مُدبِرُ
وَلكِن أَخو الحَزمِ الَّذي لَيسَ نازِلاً بِهِ الأَمرُ إِلّا وَهوَ لِلأَمرِ مُبصِرُ
فَذاكَ قَريعُ الدَهرِ ماعاشَ حُوَّلٌ إِذا سُدَّ مِنهُ مِنخَرٌ جاشَ مِنخَرُ
فَإِنَّكَ لَو قاسَيتَ بِاللَصبِ حيلَتي بِلِحيانَ لَم يَقصُر بِكَ الدَهرَ مَقصَرُ
أَقولُ لِلَحيانٍ وَقَد صَفِرَت لَهُم عِيابي وَيَومي دَيِّقُ الحِجرِ مُعوِرُ
لَكُم خَصلَةٌ إِمّا فِداءٌ وَمِنَّةٌ وَإِمّا دَمٌ وَالقَتلُ بِالمَرءِ أَجدَرُ
وَأُخرى أُصادي النَفسَ عَنها وَإِنَّها لَخُطَّةُ حَزمٍ إِن فَعَلتُ وَمَصدَرُ
فَرَشتُ لَها صَدري فَزَلَّ عَنِ الصَفا بِهِ جُؤجُؤٌ عَبلٌ وَمَتنٌ مُخَصَّرُ
فَخالَطَ سَهلَ الأَرضِ لَم يَكدَحِ الصَفا بِهِ كَدحَةٌ وَالمَوتُ خَزيانُ يَنظُرُ
فَأُبتُ إِلى فَهمٍ وَما كِدتُ آيِباً وَكَم مِثلِها فارَقتُها وَهيَ تَصفِرُ[1]

يتضح من هذه الأبيات أن تأبط شرا كان يتمتع بذكاء فائق، وحيلة واسعة، يحسن التخلص عند إحساسه بالخطر، حيث وقع في فخ لحيان التي كانت تتوعد له بالموت وتترصده حتى حاصرته أثناء تناوله للعسل في غار وذلك لشدة جوعه، إذا به ينفذ الحيلة التي أنجته من موت محتم ويفر هاربا، وذلك باستعانته بسلاحه ألا وهو سرعة أقدامه يلجأ إليها عندما تحيق به الأخطار فيطير طيرانا إلى النجاة والحرية، وهنا اتضحت لنا معالم دهائه في المآزق، فقد قرن الصعاليك سرعة عدوهم مع سعة حيلتهم، فحين الشعور بالخطر تجدهم يبتكرون طرق الخلاص ابتكارا، فلم يأنفوا من الهرب بل تفننوا فيه كما فعل تأبط شر تماما مع لحيان، حيث خاطر بحياته وذهب بمفرده إلى عرين أعدائه دون خوف أو رهبة مما جعلهم يتعجبون منه فرغم محولاتهم بالفتك به إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك.

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 186-187.

وإذا قررنا أن شعر الصعاليك صورة صادقة كل الصدق من حياة أصحابه، يسجلون فيه كل ما يدور فيها، فإننا نصل إلى تقرير ظاهرة مترتبة على هذه الفكرة وهي ظاهرة العجائبية في شعر الصعاليك، فالشاعر الصعلوك يسجل فيه كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن العجائبي، فحوادث مغامراتهم الجريئة التي كانوا يقومون بها فرادى وجماعات، وما كان يدور فيها من صراع دام مرير، وتشردهم في أعماق الصحراء بين وحشها وأخبار عدوهم الخارق، كل هذا وغيره من مظاهر هو مادة صالحة للفن العجائبي.

**المبحث الثاني: الصورة الشعرية:**

يعتبر شعر الصعاليك مرآة عاكسة لحياة طائفة من الناس كانوا ضحايا مجموعة من الظروف الاجتماعية القاسية أهمها النبذ، واللاقبول المجتمعي فلم يكن أمامهم من خيارات سوى التشرد والضياع بين رمال الصحاري، حيث نجد الصورة الشعرية لديهم مقتبسة من الواقع المحيط بهم، تتميز بالواقعية أكثر من الخيال، فهم على خلاف الشعراء الملتزمين وشعراء المعلقات لم يتقيدوا بالصورة الفنية، نظرا لأنهم لم يهدروا وقتهم في تنميق صورهم الفنية، فكما أسلفنا الذكر أن حياتهم تقتصر على السلب والهرب من خطر دائم الترصد لهم وليس لهم خلوة بأنفسهم ليعيشوا الخيال، إنما كانت صورهم تعبيرا مجسدا لواقعهم تمتاز بالمصداقية في الوصف والسرد عما يعيشونه من حياة وحشية ألفوها وتأقلموا معها، فكان تعايشهم معها بالنسبة لهم رمزا للكفاح والشجاعة وإنجاز يعجز عنه شعوب القبائل النظامية أثبتوا ذاتهم في الصراع اليومي مع قساوة ظروفهم، وهذا ما يتجلى واضحا في الصور التي اتبعها الصعاليك فمن خلال دراستنا لدواوين مجموعة من منهم حاولنا استخراج بعض هذه التشكيلات الفنية التي ساهمت في معرفة ذلك الواقع المؤلم والمحزن

الذي فرض على هؤلاء الشعراء بعد أن قطعت أواصر الأخوة بينهم وبين قومهم فنقسم هذه الصور إلى:

**1-التشبيه:**

يعد التشبيه من الأساليب البيانية المميزة، فهو آلية تستعمل لتبليغ المعنى وإكسابه تأكيدا وإيضاحا، وتمكينه في النفس، وإمتاع النفوس بالصور والأخيلة فالتشبيه دليل على خصوبة الخيال، وهو في حقيقة أمره اجتماع أمرين في تركيب واحد بينهما تماثل ومقارنة «فالتشبيه ومضة الإنارة التي ينكشف المعنى عبرها بجلاء، ولكن لهنيهة فحسب، وذلك ليترك لخيال المتلقي أن يبحث عن الترابطات»[1].

والدارس لشعر الصعاليك يجد أن التشبيه من أقوى الوسائل البلاغية التي اعتمدها الشعراء، إلا أنهم وضعوا له بصمة خاصة بهم وميزوه عن غيرهم من شعراء عصرهم، وهذا يعود إلى نضرتهم المنفردة للحياة وانفتاحهم على الطبيعة التي كان لها الفضل في إخراج ما بداخلهم وما يسكن أرواحهم، ليطلق العنان لخيالهم الخصب وإيقاظ أحاسيسهم مما ساهم في عملية نسج الصورة التشبيهية وتكوينها من عناصر الطبيعة حيث يقول بوزوفر: «إن الإنسان في الصور يسكن الجاهلية المشبه غالبا، بينما تسكن الطبيعة وحيواناتها المشبه به»[2]، فصار الشاعر الصعلوك يستوحي من تلك الجبال والصحاري بكل مخلوقاتها مادة لتشبيهاته، التي لا طالما عبرت عن غدر الزمان له ،وعن مآسيه وآلامه وكل ما يحيطها من فقر وجور، هذا ما جعل أغلب صورهم الشعرية واضحة المعالم خالية من أي غموض أو تعقيد، ومرد هذا أن بيئتهم كانت واضحة مكشوفة وهذا ما سيتم رصده في شعر الصعاليك فيقول الشنفرى:

---

[1]- يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، ط1، 1983، ص 26.

[2]- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات لبلاغية وتطورها، ط1 ج1ن المجتمع العلمي العراقي، 1983، ص62.

**وخرق كظهر الترس قفر قطعته ... بعاملتين ظهره ليس يعمل**

**فألحقت أولاه بأخراه موفيا ... على قنة أقعي مرارا وأمثل**

**ترود الأراوي الصحم حولي كأنها ... عذارى عليهن الملاء المذيل**

**ويركدن بالآصال حولي كأنني ... من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل**[1]

في هذه الأبيات نرى أن الشاعر الصعلوك يستمد خياله من معطيات العالم المحسوس في تشكيل بنيته التشبيهية، فقوله: "وخرق كظهر الترس" نقلت إلى المتلقي معاني عدة منها قساوة الصحراء وتعرجاتها التي باتت تشبه "الدرع" في تعرجاته، لتوحي لنا بمعاناة الصعلوك وما يكابده من صعوبات في ذلك المكان، وفي بنية تشبيهية أخرى حين يشبه الأراوي بالعذارى فهو يشبهها هنا بالمرأة لحاجته إليها وإرضاء نفسه عبر تخيله لها، ومن هنا تتبين لنا موهبة الشاعر من خلال إصابته لصوره التشبيهية فيتحقق غرض الإيضاح والتأثير في النفس.

ومن الصور التشبيهية التي تنم عن تمتع الصعلوك بقدرة تخييلية عالية تجسدت من خلال توظيفه للعناصر الثلاثة المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه قول تأبط شر:

**جَزى اللهُ فِتياناً عَلى العَوصِ أَمطَرَت سَمائُهُمُ تَحتَ العَجاجَةِ بِالدَمِ**

**وَقَد لاحَ دَوءُ الفَجرِ عَرضاً كَأَنَّهُ بِلَمحَتِهِ أَقرابُ أَبلَقَ أَدهَمِ**

**فَإِنَّ شِفاءَ الداءِ إِدراكُ ذَحلَةٍ صَباحاً عَلى آثارِ حَومٍ عَرَمرَمِ**[2]

نرى في هذه الأبيات مقدرة الشاعر الفنية العالية في المزج بين الطابع الحسي (ضوء، فجر، أقراب، أدهم) والطابع الواقعي الذي استمده من بيئته الجاهلية ليشكل لوحة فنية معبرة عن الصورة، مجسدة تماما من مخيلته في قوله "كأنه بلمحته أقراب أبلق أدهم"

[1] طلال حرب، ديوان الشنفرى، ص 65.

[2] ديوان تابط شر، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر ، ص71.

إذ شبه الفجر وبياضه الذي يخالطه السواد بخاصرة الجواد الأبلق الأسود، الذي يخالطه البياض بواسطة أداة التشبيه كأن التي لها القدرة على إزاحة الحاجز بين المشبه والمشبه به لترسيخ الصورة التي يصعب عندها الفصل بين أركان التشبيه مما كان لها الأثر الكبير في تقوية المعنى وتوكيده.

وفي صورة أخرى استوحاها الشاعر عروة من طبيعة حياتهم وبيئتهم فيقول:

**لحى اللَّهُ صُعلوكاً، إذا جَنّ ليلُهُ مُصافي المُشاشِ، آلفاً كلَّ مَجزر**
**أعُدّ الغِنى من نفسه، كلّ ليلة أصابَ قِراها من صَديقٍ ميسَّر**
**ينامُ عِشاءً ثم يصبحُ ناعساً يحُتُّ الحَصى عن جنبِهِ المتعفِّر**
**قليلُ التماسِ الزادِ إلاّ لنفسِهِ إذا هو أمسَى كالعريشِ المجوَّر**
**يُعينُ نِساء الحيّ، ما يَستعِنّه ويمسي طليحاً، كالبعير المحسَّر**[1]

لا بد لنا من النظر لعناصر الواقع والمشاهدات المصورة ليتسنى لنا رؤية جمال هذه الصورة التشبيهية، فغاية الشاعر من خلال هذه الأبيات هي إدهاش السامع، فهذه صورة غير محببة يرسمها عروة لصعلوك المتخاذل، ضعيف الهمة اختار من طرق الحياة أسهلها غير أنها حياة مليئة بالمذلة والهوان، فهو يهدف هنا إلى الحط من قيمة الصعلوك الخامل لاسيما إذا حل الليل ومضى في المشاش يجمع العظام يألف كل مجزر فهو "كالكلب" مشبها إياه بهذه الصورة التي أراد بها السخرية والاستهزاء به، ويضيف إلى ذلك أن صوره بصورة تحمل في دلالتها الكسل حيث ينفض عنه الغبار حين يستيقظ من نومه، فمن خلال تشبيهاته وصوره المختلفة نرى أنه يشبهه بالحيوان ليستحضر في ذهن القارئ الصورة الكلية للصعلوك الخامل.

[1] ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 68.

وفي المقابل أغدق عروة المديح والثناء على النموذج الآخر من الصعاليك، وهنا يبدع في تجسيد صورة الصعلوك القوي المغامر الذي لا يرضى بحياة وضيعة التي تعد مضادة للصورة الأولى بقوله:

**وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَةُ وَجهِهِ كَضَوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ**

**مُطِلّاً عَلى أَعدائِهِ يَزجُرونَهُ بِساحَتِهِم زَجرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ**[1]

يستكمل عروة رسم لوحته عن كلا الصعلوكين، فيكمن سر جمال هذه الصورة في النظر للعبارة التي قبلها والتي بعدها ويبدو لنا الشاعر عروة بن الورد متمكنا من استخدام الأدوات الفنية واللغوية بحيث استهل أبياته ب "لكن" التي قيل فيها «لابد أن يتقدمها كلام ملفوظ به أو مقدر ولابد أن يكون نقيضا لما بعده أو ضدا له أو خلافا على رأي»[2]، ونلاحظ كذلك تمكنه من نسج عناصر اللغة، فرسم صورة الصعلوك الشجاع المغامر، وذلك بداعي لفت الانتباه إلى الصورة التشبيهية الرائعة التي جسدها الشاعر، حينما شبه وجه الصعلوك بالشهاب المضيء في أعالي السماء وهنا نجد الدقة في صورته هذه مع صورة الصعلوك الخامل وتتأتى قدرة الشاعر في توظيف هذه المقابلة بين كلا الصعلوكين النشيط والخامل فيبين من خلال أبياته الفارق بينهما فالارتقاء سبيله المخاطرة والمغامرة، لا الركون والخضوع.

يثبت الشنفرى من خلال أبياته صفة الشجاعة على أصحابه لأنهم متميزون بالأعمال الخارقة فيقول:

**سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ**

**نَمُرُّ بِرَهوِ الماءِ صَفحاً وَقَد طَوَت ثَمائِلُنا وَالزادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ**

[1]– ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 69.

[2]– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت، د.ط، ص185.

**ثَلاثاً عَلى الأَقدامِ حَتّى سَما بِنا عَلى العَوصِ شَعشاعً مِنَ القَومِ مِحرَبُ**

**فَثاروا إِلَينا في السَوادِ فَهَجهَجوا وَصَوَّتَ فينا بِالصَباحِ المُثَوَّبُ** [1]

بالتدقيق في هذه اللوحة، نلحظ وكأن الشاعر يحاول بشيء من الإضمار والتمويه استقطاب اهتمام الآخر، وتوجيه انتباهه إلى بؤس الواقع الذي يطحنه ويؤذيه، فنرى أن البنية التشبيهية في هذه الأبيات قد أخذت حيزا واسعا في تشكيل الصورة لدى الشعراء الصعاليك، كما أنها تعبر بالدرجة الأولى عن أحوالهم الذاتية ودقائق حياتهم، وتفاصيل تجربتهم القاسية فجاء شعرا زاخرا بالألم ومشبعا بالمرارة ومثقلا بالهموم والقهر، فجاءت أبياته مكتفة بالتشبيهات فقد شبه نفسه وأصحابه بالسراحين في قوله" سراحين فتيان" وذلك ليؤكد أنه وأصحابه مميزون متفردون عن غيرهم فقد صاروا ذئابا فتيانا من كثرة قدرتهم على الحيلة والمراوغة، وفي الصورة التشبيهية الثانية "كأن وجوههم مصابيح" التي عبرت عن سموهم فحياتهم مختلقة عن غيرهم من الفتيان العاديين، ولأنهم أصحاب غاية سامية فكان شعارهم الفناء في سبيل المبدأ، ويضحون في سبيل إثبات ذواتهم للمجتمع الذي ظلمهم وسلبهم حقوقهم، لذلك اختاروا أن يكونوا كشموع مضيئة تحترق لتنير درب الآخرين، وتطمس ظلام التقاليد الجائرة، ولكنه لا يلبث أن يقول: " الزاد ظن مغيب" فالوصول إلى غايتهم والنجاح فيها كان مجرد أوهام يسعون اليها، وما كان لصورة أن تأتي بهذا الشكل المتناغم لولى أن قدرت الشنفرى في توظيف البنية التشبيهية بالشكل المطلوب كانت عالية.

جاء السليك بصورة تشبيهية مختلفة حيث وصف فيها المرأة فجمع بين خلقها وعفتها وحيائها وبين جمال جسدها ومحاسنه فيقول:

**كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا**

[1]– ديوان الشنفرى، جمعه وحققه: إميل بديع يعقوب ، ص 34.

**يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النوارا**

**وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا**[1]

من خلال هذه الأبيات نرى أن المرأة قد أسهمت في تشكيل البنية التشبيهية لدى الصعاليك، فتارة يصفون جمالها ومفاتنها وتارة يصفون آلامهم وجراحهم، حيث استهل أبياته بوصف جمال جسد المرأة ومفاتنها، فشبها أردفها بكثبان رملية تتهاوى مع الريح قاصدا منه الليونة ثم انتقل إلى وصف أخلاقها العالية من عفة وحياء، فالصعلوك لم يرى في حياته الضيقة ما هو أجمل من المرأة، فجمع فيها جمال الجسد والروح.

**2-الاستعارة:**

أسلوب من الأساليب البيانية التي تضفي على الكلام حسنا وجمالا، ما يجعلها تؤثر في نفس المتلقي من خلال إنعاش خياله، فمحورها يكمن في تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية، والاستعارة من خواص الشعر المهمة التي تدخل في بنائه وإنتاج صوره، فتمنحه رقيا وجمالا وفيها تتضح عبقرية الشاعر ونبوغه فهي فن دقيق يحتاج إلى عاطفة قوية، وقد لا يبالغ المرء حين يقول: «إن أهم ما يشغل الدارسين للغات الإنسانية هو الاستعارة فهي موضع اهتمام من قبل اللسانيين وفلاسفة اللغة والمناطقة وعلماء النفس»[2]كما أنها تعد تشكيلا لغويا يحرر النص الأدبي من الأسلوب المنطقي المحدود والوضوح النثري فيكسوه ببعض من الغموض والجمالية، من خلال ألفاض ودلالات إيحائية فتنقله إلى أفاق واسعة فتثري اللغة وتخلق وجودا جديدا للكلمات والمعاني، كما أنها أسلوب فني أساسه التشبيه، إلا أنها أكثر مبالغة في التخييل والإيحاء وأسمى بكثير، وعلى هذا الأساس أخذ الشعراء الصعاليك يتفننون فيها، فأخذوا يركزون على التجسيد

[1] السليك بن السلكة أخباره وشعره، جمع وتحقيق: حميد آدم وكمال سعيد عواد، ص 55.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط 4، 1995، ص 81.

الذي يعد احد وظائف الاستعارة فجسدوا الطبيعة بما فيها ويسقطون عليها مضامين إنسانية ليربطوا بينها وبين واقعهم، وفقا لأحاسيسهم الخاصة رغبة منهم في إبداع صور حافلة بالخيال، مع إضفاء لمسة من واقعهم وبيئتهم ولعل تأبط شر قد جسد هذا حين جعل للموت أنفا ومنخرا حيث يقول:

**نَحِزُّ رِقابَهُم حَتّى نَزَعنا وَأَنفُ المَوتِ مَنخِرُهُ رَميمُ**

**وَإِن تَقَعِ النُسورُ عَلَيَّ يَوماً فَلَحمُ المُعتَفى لَحمٌ كَريمُ**[1]

لقد وظف الشاعر البنية التجسيدية حيث منح للموت صفة من صفات البشر، لجأ إليها الشاعر لخرق قانون اللغة وذلك لأن الشعر فن اللغة فيحق للشاعر أن ينحاز عن المألوف فقد أبدع الشاعر في رسم صورة ذليلة للموت، ويظهره بمظهر قبيح وذليل، حيث جعل له أنفا ينزف فكانت غايته من ذلك أن يعلن تفوقه عليه وشجاعته في التغلب عليه في حين ان البشرية كافة تخاف منه وتهابه.

ويقول كذلك في موضع آخر:

**يَظَلُّ بِمَوماةٍ وَيُمسي بِغَيرِها جَحيشاً وَيَعروري ظُهورَ المَهالِكِ**

**وَيَسبِقُ وَفدَ الريحِ مِن حَيثُ يَنتَحي بِمُنخَرِقٍ مِن شَدِّهِ المُتَدارِكِ**

**إِذا خاطَ عَينَيهِ كَرى النَومِ لَم يَزَل لَهُ كالِئٌ مِن قَلبِ شَيحانَ فاتِكِ**

**إِذا طَلَعَت أَولى العَدِيِّ فَنَفرُهُ إِلى سَلَّةٍ مِن صارِمِ الغَربِ باتِكِ**

**إِذا هَزَّهُ في عَظمِ قِرنٍ تَهَلَّلَت نَواجِذُ أَفواهِ المَنايا الضَواحِكِ**

**يَرى الوَحشَةَ الأُنسَ الأَنيسَ وَيَهتَدي حَيثُ اِهتَدَت أُمُّ النُجومِ الشَوابِكِ**[2]

[1] ديوان تأبط شر، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1996،ص99.

[2] المصدر نفسه، ص 52_53.

ان الناضر لهذه الأبيات يرى تزاحم الاستعارات وتعددها في قوله (ظهور المهالك، وفد الريح، خاط عينه كرى النوم، تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك، يرى الوحشة) فنلحظ في هذه الاستعارات تشكل مشهد استعاري، جعل للدهر ظهرا وللموت نواجذ يضحك بها مستعيرا هذه الصفات من الإنسان، ليجسد صورة مرئية وموحية لغرض زرع الخوف والرهبة في أعدائه، كنوع من إثبات الشجاعة في شخصية الصعلوك، مما عمل على تعميق الدلالة الإيحائية إيصال المعنى للمتلقي.

ويقول الشنفرى وهو يصور انتصاره على أعدائه:

**تَضحَكُ الضَّبعُ لِقَتلى هُذَيلٍ وَتَرى الذِّئبَ لَها يَستَهِلُّ**

**وَعِتَاقُ الطَّيرِ تَهفُو بِطَاناً تَتَخَطّاهُمُ فَما تَستَقِلُّ**[1]

لقد شكل الشاعر من البنية التجسيدية استعارة أعطى فيها لبعض عناصر الطبيعة التي ألفها وعاش فيها بعض الصفات البشرية، وهو الضحك حيث عبر فيها عن شجاعته وبأسه أمام أعدائه، وتحويل مشهد انتصاره عليهم إلى صورة تجسيدية تقرب المعني للمتلقي.

وفي موضع آخر يصف الشنفرى قوسه وهي تطلق أصواتا وكأنها إنسان يستغيث في قوله:

**وَمُستَبسِلٍ ضافي القَميصِ ضَمَمتُهُ بِأَزرَقَ لا نِكسٍ وَلا مُتَعَوَجِ**

**عَليهِ نَسارِيٌّ عَلى خوطِ نَبعَةٍ وَفوقٍ كَعُرقوبِ القَطاةِ مُدَحرَجِ**

**وَقارَبتُ مِن كَفَّيَّ ثُمَّ نَزَعتُها بِنَزعٍ إِذا ما اِستُكرِهَ النَزعُ مُحلِجِ**

**فَصاحَت بِكَفَّيَّ صَيحَةً ثُمَّ راجَعَت أَنينَ المَريضِ ذي الجِراحِ المُشَجَّجِ**[2]

---

[1] شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق: علي ناصر غالب، راجعه: عبد العزيز المانع، ط 1، 1998، ص120

[2] المصدر نفسه، ص 42.

اتصفت حياة الصعلوك بالصراعات الدامية والصخب مما أثر عليه وعلى شعره، فدفعه ذلك إلى تصوير تلك الحياة بما فيها وتجسيدها في شعره بدقة، حيث يصور لنا الشاعر جزءا منها فوصف قوسه بأنها تصيح حينما تطير نحو هدفها فشبهه بصوت امرأة، ويكون بذلك قد أعطا لقوسه بعض صفات الإنسان، وهو الصياح بحيث يصبح المعنى أكثر إثارة وأكثر قدرة على التأثير في المتلقي.

**3-الكناية:**

تعد من أحد الأنظمة الفعالة في النص الأدبي، التي تعطيه حيوية وثراءً وإثارة للمشاعر كما تعد مجاورة للواقع وهذا ما يكسبها خصوصية جمالية وبعدا فنيا، فهي وسيلة تعبيرية تتجاوز المعنى الحقيقي، إلى معنى آخر أكثر إيحاء وأكثر دقة وإيجازا، بحيث يتم استخدام الكلمة فيها لتعبر عن شيء آخر يمتلك صفات مشتركة مع الكلمة المستخدمة، على سبيل المثال استخدام كلمة الماء ككناية عن الحياة، فتخرج النص من دائرة المألوف إلى دائرة التوتر، ومفاجأة المتلقي فهي من البواعث التي تخلق انفعالا لدى المخاطب، سواء كان سلبا أو إيجابا، ونجد لها في شعر الصعاليك أمثلة كثيرة فهذا السليك بن السلكة يقول:

**لَعَمرُ أَبيكَ وَالأَنباءُ تُنمى لَنِعمَ الجارُ أُختُ بَني عُوارا**

**مِن الحَفَراتِ لَم تَفضَح أَباها وَلَم تَرفَع لِإِخوَتِها شَنارا**

**كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا**

**يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النوارا**

وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا [1]

وظف الشاعر في هذه الأبيات فيضا من الصور الكنائية، أسهمت في تيسير الفهم، فقد كنى عن عفة محبوبته وحفظها لسمعتها وشرفها بقوله: "لم تفضح أباها" فهي عفيفة شريفة لم تفعل ما يخدش شرفها وشرف أباها، وكنى أيضا عن العيب والعار فقال: " لم ترفع لأخوتها شنارا" أي أنها خلوقة ولم يعرف عنها عيب، وكنى في البيت الذي يليه عن جمالها وجمال جسدها، فهي تتصف بجمال المظهر والجوهر ما جعل قلبه يتعلق بها فهي الممنعة المحافظة، ودليل ذلك في قوله: "يعاف ذات البذل قلبي ويتبع الممنعة النوار" وأخير يختم أبياته في الإشادة بشجاعتها وقوتها في قوله "واسلبوا الخمار" فكل هذه الصفات حسية وظفها الشاعر من بيئته التي ألفها، تواشجت هذه الكنايات المختلفة وترابطت فيما بينها فأثرت في نفس المتلقي.

ويوظف لنا صعلوك أخر صورة كنائية يصف فيها حالة رفاقه النفسية من واقع عالم الصعاليك القاسي والأليم فيقول تأبط شر:

سَلَكو الطَريقَ وَريقُهُم بِحُلوقِهِم حَنَقاً وَكادَت تَستَمِرُّ بِجُندُبِ

فَاِذهَب صُرَيمُ فَلا تُحَلَّنَ بَعدَها صِغواً وَحُلّاً بِالجَميعِ الحَوشَبِ

مَنَّ الإلاهُ عَلَيكَ فَاِحمِل مَنَّهُ وَوَسيلَةٌ لَكَ في جَديلَةَ فَاِذهَبِ[2]

تحمل هذه الأبيات صورة كنائية، تعبر عما كان يحسون به من خوف شديد ممزوج بالغضب، حتى كادت أن تصل حالتهم هذه إلى أعدائه الذين أرادوا قتله، حيث أراد الشاعر أن يمنح لأبياته القوة، فستهل مطلع بيته الثاني بأمر لغاية منه في تخويف "صريم" وتحذيره من عدم البقاء والرحيل إلى مكان آخر فيه الكثير من الناس (الحوشب)

[1] السليك بن السلكة أخباره وأشعاره، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثوني وكامل سعيد عواد، ص 55.

[2] ديوان تأبط شر، إعداد وتقديم: طلال حرب، ص 72_73.

بعيدا عن المخاطر ثم يكمل خطابه في البيت الثالث بأن الله قد من عليه لنجاة والفرار إلى قبيلة جديلة فهي ملاذه الوحيد.

ونجد أيضا الشاعر عروة يقول مفتخرا بنفسه:

**لِسانٌ وَسَيفٌ صارِمٌ وَحَفيظَةٌ وَرَأيٌ لِآراءِ الرِجالِ صَروعُ**

**تَخَوّفُني رَيبَ المَنونُ وَقَد مَضى لَنا سَلَفٌ قَيسٌ مَعاً وَرَبيعُ**[1]

الشاعر بصدد الافتخار بنفسه ومحاسنه، فلجأ إلى الكناية ليجسد من خلالها بعض صفاته النبيلة ولعل أول البيت يشير لأحد هذه الصفات (لسان) وهي كناية عن صفة الفصاحة ولكي يؤكد تلك الصفة (رأي لآراء رجال) أي أنه يترأس قومه ويستشرونه في كل صغيرة، وجيها عليهم وصاحب رأي سديد، فيضيف إلى تلك الصفات (سيف صارم) وهي كناية عن الشجاعة والفروسية.

ويصف لنا الشنفرى قوسه الذي صرع به أعتى الفرسان بقوله:

**وَمُستَبسِلٍ ضافي القَميصِ ضَمَمتُهُ بِأَزرَقَ لا نِكسٍ وَلا مُتَعَوَجِ**

يتمتع الشنفرى بقدرة فائقة في القتال وخاصة في استخدام السهم، وهذا ما يظهره لنا في هذه الأبيات، فيصور لنا قنصه لذلك الفارس كبير الدرع، بسهمه النافذ حيث أخذ طريقه إليه مصيبا الهدف بمهارة عالية، كما نرى دقة الشنفرى في تصوير قتل ذلك الفارس بقوله (ضافي القميص) وهي دلالة على ضخامته، وهذه البنية تتداعى تحتها عدة معان فضخامته تجلب له الهيبة والقوة والشجاعة، مما يجعل الناس تخافه وتهابه، وهذا ان دل على شيء فهو يدل علا مهارة الشنفرى وشجاعته.

[1] ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، ص 80.

إن الغربة التي عاشها الصعاليك وهم مطاردون في مجاهل الصحراء، والجو الذي كان يخيم على الجوانب المقفرة من الصحراء، كان له دور فبإظهار قدرتهم الفنية العالية في توظيف البنية التجسيدية في تشكيل معالم الطبيعة واستنطاقها بحيث جسدوا تلك البيئة في أشعارهم فشكلوا صورا يخاطبون فيها موجودات المكان، حملوها كل ما يجول في خواطرهم وما تعرضوا له من ألم وجور وعبودية وحرمان...كل هذه الأحاسيس يستعرضها وكأنها مخلوقات إنسانية أو مخلوقات حية، فأبدع الشعراء الصعاليك في تشكيل هذه الصور الشعرية، من خلال منحها بعدا واقعيا بحيث تخرج الفكرة من مجالها العقلي إلى مجالها الحسي، ما يغنيها بالطاقات الإيحائية ويبعدها عن الرتابة، فتصبح أكثر قدرة على التأثير في المتلقي.

# خاتمة

بعد هذا الترحال المثير والجميل في شعر الصعاليك نصل إلى محطتنا الأخيرة التي لابد لكل باحث من الوقوف عندها، فلكل مطاف نهاية ونهاية مطافنا هي خاتمة البحث ونتائجه فقد تمخضت عن هذه الدراسة مجموعة نتائج نذكر أهمها بإيجاز عل النحو الآتي:

- ✓ شعر الصعاليك صورة حية عن كفاحهم وصراعهم المضني في سبيل البقاء، والاستمرار في خضم التناقضات الاجتماعية التي تتلاعب بهم فرغم أنهم محتقرون إلا أن أشعارهم بقيت مأثورة تعبر عن رغبتهم بل واستحقاقهم لحياة كريمة لا فقر فيها ولا عوز إذ أنهم يؤمنون انهم يمثلون الأصل والأصالة والحرية.

- ✓ركز الشعراء الصعاليك في شعرهم على إبراز دقائق حياتهم وتفاصيل مغامراتهم القاسية فجاء شعرا مشبعا بالألم والمرارة مثقلا بالهموم والقهر.

- ✓كان اختلاف قصائد الشعراء الصعاليك عن النمط التقليدي للقصائد الجاهلية امتدادا لاختلافهم مع مجتمعاتهم وتأثرا بواقع حياتهم الخاص.

- ✓الصورة الشعرية في شعر الصعاليك كانت أقرب للحقيقة من الخيال وهذا يعود إلى طبيعة حياتهم فتضمن شعرهم ألفاظا غزيرة أوحت بها الصحراء ومظاهرها وطبيعة الحياة فيها.

- ✓والشعراء الصعاليك شأنهم شأن الشعراء الآخرين لهم أسلوبهم وطريقتهم الخاصة في بناء النص بحيث أفسحوا المجال لموهبتهم لأن تعتلي سلم الإبداع في إنتاج الصورة الشعرية.

✓لقد هيأت البيئة التي عاشها الصعاليك على إبراز قدرتهم الفنية العالية في استعمال تقنيات متعددة وأدوات مختلفة في إنتاج الدلالات الإيحائية من خلال أشعارهم المجسدة لبيئتهم.

✓وتعد ظاهرة الصعلكة نزعة إنسانية نبيلة فالصعاليك رغم وضاعة نسبهم ورغم تشردهم في الصحراء وما عايشوه من احتقار وتهميش إلا أن لهم من الخصال الحميدة والأخلاق الرفيعة كالكرم والجود وإغاثة الملهوف ومساعدة الفقراء.

# قائمة المصادر والمراجع

❖ **القران الكريم:** رواية ورش عن نافع.

**أولا: المصادر:**


1. -أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1998م.
2. – عمر بن مالك، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1418هـ-1996م، ط2.
3. _ الشنفرى، الديوان، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.
4. شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق: علي ناصر غالب، راجعه: عبد العزيز المانع، ط 1، 1998.
5. محمد أحمد شهاب سامراء، السليك بن سلكة أخباره وشعره، مطبعة الغاني، بغداد، 1404هـ-1984م، ط 1.
6. _السليك بن السلكة أخباره وأشعاره، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثوني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1984.
7. _ طرفة بن العبد، الديوان، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2002.


ثانيا: المراجع:


8. إبراهيم محمد منصورة: الشعر والتصوف، دار الأمين ط1، القاهرة.
9. _ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، جزء 1، دار المعارف، القاهرة.
10. – أبو الفضل إبراهيم: تاريخ الطبري، دار المعارف، 1966.

**11.**بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، د ط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

**12.**_تزفتان تودوروف، مدخل الى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بوعلام، تقديم محمد برادة، دار الكلام،الرباط، ط 1، 1993.

**13.**_جابر عصفور، حكمة التمرد، مجلة العربي عدد444، الكويت،1995.

**14.**– جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت، د.ط.

**15.**_حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.

**16.**–زكريا محمد القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الشرق العربي

**17.**_سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2012.

**18.**_شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ط 11.

**19.**عبد الرحمان، عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.

**20.**_عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 1979.

**21.**_عمر بن عبد العزيز السيف، بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.

**22.**_غيثاء قادرة، لغة الجسد في أشعار الصعاليك، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013.

**23.**_ كمال أبو ديب، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2007.

**24.**_لؤي خليل، عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب، التكوين للتأليف والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا،2007.

**25.**_ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط 4، 1995.

**26.**_محمد نبيل طريفين ديوان اللصوص في العصر الجاهلي والإسلامي، جزء1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ط 1.

**27.**_ يحيي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1986.

**28.**_يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط 1، 2006.

**29.**– يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، ط1، 1983.

**ثالثا: المعاجم والقواميس:**

**30.**_ابن منظور: لسان العرب، ط1، ال جزء4 دار صادر، بيروت، (مادة عجب).

**31.**– أحمد مطلوب، معجم المصطلحات لبلاغية وتطورها، ط1 ج1ن المجتمع العلمي العراقي، 1983.

**32.**_الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: معدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، الجزء 2، منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى،1988.

**33.**_محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

# فهرس الموضوعات

| الموضـــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| **شكر وتقدير** | / |
| **مقدمة** | **أ- د** |
| **الفصل الأول: مصطلح العجائبية في مفاهيم المعجم والاصطلاح والدلالة.** | |
| **المبحث الأول: مصطلح العجائبية بين المفهومين المعجمي والاصطلاحي** | **10** |
| المطلب1: التعريف المعجمي للعجائبية: | **10** |
| المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للعجائبية: | **14** |
| **المبحث الثاني: واقع الشعر العربي القديم بين الواقعية والعجائبية:** | **17** |
| **المبحث الثالث: الشعرية عند الصعاليك:** | **21** |
| **المبحث الرابع: صور من العجائبية في حياة الصعاليك:** | **27** |
| 1-سرعة الجري: | **27** |
| 2-صداقة الحيوانات: | **30** |
| 3- الغزو المنفرد: | **31** |
| **الفصل الثاني: مظاهر العجائبية في شعر الصعاليك:** | |
| **المبحث الأول: مظاهر العجائبية في شعر الصعاليك:** | **34** |
| 1-الاستهانة بالحياة: | **35** |
| 2-مصاحبة الحيوانات: | **40** |
| 3-سرعة العدو: | **43** |
| 4-الغزو المنفرد: | **46** |
| **المبحث الثاني: الصورة الشعرية:** | **49** |
| 1-التشبيه: | **50** |
| 2-الاستعارة: | **55** |
| 3-الكناية: | **58** |
| **خاتمة** | **62** |
| **قائمة المصادر والمراجع** | **65** |
| **فهرس الموضوعات** | **69** |
| **الملخص** | / |

## مُلَخَّصُ البَحْثِ

فوق رمال البادية والصحاري المقفرة، وفي أعماقها الغامضة، وفي قمم الجبال العالية التي لا يصعد إليها أشجع القوم، هناك عاشت فئة منبوذة سميت بالصعاليك، فئة اتخذت من الشعر إعلانا عن فلستها الخاصة، فصوروا من خلاله مظاهر حياتهم الشاذة، بكل ما فيها من ظواهر بحيث جاءوا بأفكار وطرائق جديدة في التعبير والتصوير، فقد فتحوا آفاقا لمخيلتهم وأطلقوا العنان لإبداعهم، فأضافوا إلى شعرهم عنصرا جعلهم يتفردون به عن غيرهم، ألا وهو عنصر العجائبية، أو بمعنى آخر الخرق لكل ما هو سائد ومألوف عند العامة، ويتوضح ذلك جليا في أدبهم، بحيث تعج جل أشعارهم بأحاديث مغامراتهم العجيبة ومعاركهم وحروبهم المثيرة، واستئناسهم بالمخلوقات المتوحشة، وشجاعتهم وسرعتهم التي لا مثيل لها في الصحراء والخلاء، شعر نتأكد من خلاله أنه صورة للبيئة، شعر أثبت حقا أن الشاعر ابن بيئته يميل بشعره أينما مالت به الحياة.

**Abstract:**

Over the sands of the desert and desolate deserts, in its mysterious depths, and on the high mountain peaks that the bravest people do not climb to, there lived an outcast group called the Tramps, a group that took poetry as a declaration of its own bankruptcy, and through it they portrayed the manifestations of their anomalous life, with all its phenomena, so that They came up with new ideas and methods of expression and photography They opened horizons for their imagination and unleashed their creativity, so they added to their poetry an element that made them unique from others, which is the element of the miraculous, or in other words, the breach of everything that is prevalent and familiar to the public, and this is evident in their literature, so that most of their poetry is filled with conversations about their wondrous adventures, battles and wars. Excitement, their domestication with wild creatures, their unparalleled courage and speed in the desert and emptiness, poetry through which we make sure that it is a picture of the environment, poetry that truly proves that the poet, the son of his environment, tends to his poetry wherever life and its occasions tend, and her desire to challenge and break the masculine dominance that accompanies poetry.